



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد البشير الإبراهيمي

- برج بوعريريج -

كلية الآداب واللغات.

قسم اللغة والأدب العربي.

## توظيف التراث في رواية "إيزابيل"

لـ :سليم بتقة.

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي تخصّص : أدب حديث ومعاصر.

إعداد الطالبين:

- تحت إشراف: د.هيثم بن عمّار.

• جلال عرافي.

• عبد الحميد بسة.

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
01	فؤاد علجي	أ.م.ب	برج بوعريريج	رئيسا
02	هيثم بن عمّار	أ.م.ب	برج بوعريريج	مشرفا ومقرّرا
03	بوعلام رزيق	أستاذ	برج بوعريريج	ممتحنا

السنة الجامعية : 1445-1446 هـ / 2024-2025 م.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي  
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا المضي أسفله،

السيد(ة): جمال بن خوي ..... الصفة: طالب، أستاذ، باحث ..... طالب  
الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 1185566 والصادرة بتاريخ 09/06/2019 من مركز أبحاث  
المسجل(ة) بكلية / معهد الاداب واللغات قسم اللغة العربية والأكاديمية العربية  
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،  
عنوانها: التوظيف اللغوي في رواية ابن زيدون  
ل. سليمان ببقية

أصرح بشرفي أنني أتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية  
المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ: 2020/06/09

توقيع المعني (ة)





إلى أمي، ثم أمي، ثم أمي... إلى أبي...

إلى أمي، ثم أمي، ثم أمي... إلى أبي...

إلى أخواتي وإخوتي...

ألا فلتضق عني البلاد فلم يضق

...طموحي وإن ضاقت رحاب بلادي

هو الصبر زادي في المسير لغايتي

...وإن عدت عنها فهو زاد معادي

فجُوري عليّ يا حياة أو ارفقي

...فلن أنثني عن وجهتي ومرادي

...إلى أيوب.

**جلال**

إلى والدي

- إلى والدي الكريمن أهدي كل جميل  
- إلى من علمني أن العلم نور أساتذتي الأفاضل دون استثناء  
- إلى عائلتي سندي على الدوام زوجتي وأبنائي أخواتي وإخوتي  
- إلى كل من قدم لي الدعم والمشورة وكان لي قمرا منيرا  
- إلى زميلي وشريكي في هذا العمل جلال عرافي أهم سبب في إنجاز هذا العمل وإنجاحه.  
أهدي هذا العمل المتواضع، راجياً من الله تعالى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

**عبد الحميد**

# شكر وعرفان

لا يسعنا بعد إتمام بحثنا إلا أن نتقدم بالشكر والامتنان أولاً: لأستاذنا ومرشدنا الدكتور

هيثم بن عمار الذي أشرف على تأطير جهدنا فشرفنا به

وثانياً: الشكر لكل من مد لنا يده فأعاننا واحتوانا ولكل من حيّانا وتبسم في وجوهنا

ولو أحياناً.. فأحياناً، ولكل الذين لهم فضل علينا ولو مثقال حبة من خردل.

مقدمة

إنّ ارتباط الرواية الجزائرية المعاصرة بالتراث إنما هو إرادة الروائيين في إقحام سرودهم الإبداعية في اتجاه يتخطى التقاليد السردية المألوفة والموروثة التي دأب القدامى على الكتابة فيها، فانتهج سليم بتقة في نص روايته إيزابيل على غرار المحدثين من الروائيين الجزائريين سبيل التاريخي من الاتجاهات الروائية ليكون ديدنهم فيه المتح من المادة التراثية ومنحها للنصوص الروائية لترويضها وتطويرها داخل السرود، إنّ تفاعل الروائي والتاريخي بتوسل التراث المنوط بالمادة التاريخية والمكون في بواطنها جاء لتعزيز النصوص بروافد شتى غير التخيل، فانفتح الرواية على ثقافة الآخر من الأساليب الفنية والجمالية التي جعل منها الروائيون رافدا متدفقا بالعناصر الثقافية والمعرفية مستساغة التوظيف داخل النص الروائي، فأما المادة التراثية المستجلبه من التاريخ الذي يعد معينا تراثيا لا ينضب فهو الرافد الأساس والحامل لكل العناصر التي يسهل على الروائي الحاذق والواعي بالتراث عجنها وتشكيلها كما يشاء وتشاء حاجة النص إلى ذلك فيشبع بها سياقات سرده الفارغة من الحمولة ذات الدلالة لتصبح نقاط قوة داخل السرد باعتبار قوة دلالاتها ليصل بذلك إلى مراده وأهدافه التي لا يكتمل نضجها إلا باستقبال النص من متلق واع بالتراث مدرك لطرق وأهمية توظيفاته على قدر جيّد من الثقافة التي تجعله قريبا من مستوى ثقافة صاحب النص، وأما ذلك الانفتاح على الثقافات العالمية فيعدّ رافدا جاهز المادة الثقافية إذ يعمل الروائيون على مصالبتها وتلقيها على المادة الروائية لتوليد فرع مثمر في الساحة الروائية لا تعصف به رياح النقد، ولا يتم استدعاء المادة التراثية أو الانسراح على ثقافة الآخر ومساءلة الروائي للتاريخ من خلالها إلا بتوسل آليات والاستعانة بأدوات فالتناص يعدّ الوسيلة الأنجع لتحرير المادة التراثية وتضمينها النصوص إلى جانب الاقتباس من الثقافة العالمية - يعتبر التناص - العنصر الساعي لكسر روابط التراث مع نصه الأصلي الممتوح منه والعمل على بناء روابط أخرى للتراث لتحقيق تماسكه مع المادة الروائية في بوتقة السرد، إن ما يحكم هذه التفاعلات النصّية وجود روائي ضليع في الكتابة الروائية واسع الاطلاع والتبحر في الثقافات العالمية مؤمن بأهداف نصّه وواع بتراثه وهويته التي هي إثبات لوجوده وكيونته بانطلاقه من ماض لم تمسحه يد الحضارة الحديثة، ولما كان نص إيزابيل لصاحبه سليم بتقة النموذج الأمثل في نظرنا والذي احتوى كلّ العناصر والآليات والمواد والتفاعلات التي خلقت التعلق بين النص الروائي والمادة التراثية التاريخية وعليه كان اختيار موضوعنا المعنون بـ : "توظيف التراث في رواية إيزابيل لسليم بتقة"، إن انتقالنا من صياغة عنوان لموضوعنا استلزم صوغ إشكالية تكون مطية للوصول إلى إجابات عن تساؤلات مرتبطة بالموضوع ومنوطة بما فكانت : كيف تبدّى التراث في رواية إيزابيل ؟

أمّا التساؤلات المتعلقة تفرّعا بإشكاليتنا الرئيسة والمتأتمية من خلال رؤيتنا لموضوعنا فكانت كالآتي :

- كيف تجلّي التراث في الأدب العربي وما هي آراء المفكرين والأدباء منه؟ وما آليات توظيفه؟
  - ما علاقة الرواية بالتاريخ؟ وكيف توسّلت مادته التراثية؟
  - ما مدى الوعي بالتراث المستلهم في السرود العربية؟
  - هل كان الانفتاح على ثقافة الآخر رافدا بديلا عن التخيل في رواية إيزابيل أم أنه سند مكمل له؟
- و ما دفعنا لاقتحام رواية إيزابيل بالدراسة والتنقيب عن ظاهرة تجلّي التراث في نصها هو :
- النزوع إلى كل ما هو تراثي يعبق بالأصالة والعنقاة ومحاولة التماسه في الروايات والكتب وخاصة النصوص السردية الجزائرية المفعمة بالتراث.
  - إدراك فاعلية آلية التناص في بناء وهندسة معمار النصوص الجزائرية الحديثة والمعاصرة.
  - الغوص في النصوص السردية الجزائرية وإظهار مدى انغماس أصحابها في التاريخ ومتحهم من العناصر التراثية المختلفة المنوطة بالمادة التاريخية.
- يتطلب إخضاع النصوص الأدبية للدراسة النقدية وسائل وآليات تتضمنها مناهج الدراسات النقدية فكان لابد من اختيار منهج يمكننا من تشريح وتحليل جسد نص رواية إيزابيل، وقد ارتأينا من خلال معطيات النص والظاهرة المراد كشفها أنّ المنهج الوصفي التحليلي أنجع وأدواته أقدر على فكّ مبهمات نصّنا.
- تعلّقت أهمية بحثنا بإرساء قواعد معرفية خاصة بالتراث والوعي به وإدراك فاعلية استدعائه في الحفاظ على الهوية في أعماق السرود الروائية من خلال دراسة تجلّيات التراث بأصنافه وعناصره وإعطاء صورة عن حضور ثقافة الآخر في رواية إيزابيل التي تعدّ نموذجا ثريا يعجّ بكلّ احتياجات هذه الدراسة.
- وقد كان من الجدير أن نقف على الجهود التي سبقتنا إلى دراسة مواضيع قريبة من موضوعنا إذ لا نعدم وجودها ولا ننفي استفادتنا من مضايمينها ولا ندعي السبق فيها أبرزها :
- أطروحة دكتوراه بعنوان : "توظيف التراث في روايات عبد المالك مرتاض، قراءة في ( ثلاثية الجزائر) و(ثنائية الجحيم)"، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه للطالبة خديجة نواري.

وبناء على أهمية بحثنا فقد ألزمتنا بتبني خطة لتنظيم وترتيب وتأطير وتوضيب المادة العلمية المستخلصة من المصادر والمراجع المتعلقة بدراستنا والمنبثقة من وعيينا بموضوعنا لتكون خطة منطلقها رؤية أولية وتصور شامل للموضوع أحالنا إلى أن يكون أولها مدخلا يعقبه فصلان.

أما المدخل فقد جاء كمنطلق نظري للدراسة بالاشتراك مع الفصل الأول فتضمّن حضور التراث على مستوى النصوص الأدبية العربية القديمة والحديثة وتطرقنا فيه كذلك إلى مواقف وآراء المفكرين من التراث وهو عنوان الجملة من الآراء النقدية والمواقف الفكرية من التراث في الأدب وفي باقي العلوم الإنسانية.

أما الفصل الأول : وهو الجانب النظري من بحثنا عنوانه بـ " التراث وتمثلاته في الرواية التاريخية " وقد اشتغل البحث فيه على نشأة الرواية وعلاقتها بالتاريخ ومدى استلهاها للتراث بأنواعه والوعي به، وسعينا إلى إبراز تجلياته في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة.

أما الفصل الثاني بعنوان " التراث في رواية إيزابيل والانفتاح على ثقافة الآخر " فقد عملنا فيه على إسقاط ما جاء في الفصل النظري من بحثنا على نص رواية إيزابيل ميرزين تجليات التراث فيها بأنواعه، وقد دعمنا هذا الفصل بعنوان آخر : الانفتاح على ثقافة الآخر وذلك لما حتمته علينا الدراسة وطبيعة النص الروائي، وقد أبرزنا من خلال توظيف التراث في النصوص وأهدافها في الحفاظ على الهوية أوجب التطرق إلى حضور ثقافة الآخر في النصوص فمعرفة لنيات الآخر من خلال ثقافته تعزّز تشبثنا بما نملك من تراث وهوية، وقد وصلنا في الأخير إلى خاتمة حوت نتائج دراستنا وأهدافها بالتفصيل، أما توثيقنا لدراسنا قصد منحها المصداقية العلمية فقد كان اعتمادا على مصادر ومراجع أهمها :

- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة.
- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث).
- عبد الله بن صافية، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة.
- عبد الإله نبهان، التراث العربي مفهوم ومواقف المفكرين.
- أحمد يحي وآخرون، سلطة التراث وبلاغة المتخيّل توظيف التراث في السرد الروائي المعاصر.

إنّ كل مسار يروم فيه الباحث علما أو يتغني به مجدا لا بد أن تعترضه عوائق وعقبات وإن مسار بحثنا ما كان ليخلو منها فتشعب المادة العلمية وتفرّقها في بطون المصادر والمراجع كان أمرا صعب من لمّ شعثها لتقييدها في دراستنا، واتساع أماكن حضور ظاهرتنا المدروسة والمتمثلة في التراث قد أخذ من الوقت والجهد الكثير.

وفي هذا المقام الذي يستدعي حفظ الودّ لمن كان له يد الفضل بعد الله تعالى علينا وهو أستاذنا هيثم بن عمار فهو مشرفنا ومشرّفنا الذي أخذ بأيدينا فوجّهنا وأرشدنا وعمل على تنقيح وتصحيح جهدنا العلمي بتواضع ونزاهة وعلمية بعيدا عن كلّ محاباة أو مداراة كما نشكر كلّ مدّ لنا يد العون والمساندة من قريب أو من بعيد والحمد لله.

# المدخل

التراث بين الرؤية والموقف.

## 1 - التراث في الأدب :

إذا أردنا الحديث عن التراث والموقف النقدي منه وجب علينا أن ننطلق من سؤال الدكتور محمود أمين العالم حين عالج التراث ضمن آلية الحضور التفاعلي في الراهن يقول : ما هو التراث ؟<sup>(1)</sup> فأقول محاولا الاجابة عن هذا السؤال : التراث هو: الهوية الثقافية لأي أمة من الأمم، وهو شكل من أشكال التعبير الفني الذي نظر إليه النقاد وشكلوا موقفهم النقدي منه بحسب موقف كل منهم.

فقد تناول الدكتور حسين حنفي معنى التراث فيقول " التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على مستويات عديدة"<sup>2</sup>

أما فيما يخص قراءة التراث والموقف النقدي منه فقد حدد الدكتور جابر عصفور قراءتين أساسيتين له يتشكل الموقف انطلاقا منهما، القراءة الأولى: "هي القراءة الوصفية للتراث حيث يعزل التراث عن القارئ تماما لكي يراجع الأثر مراجعة محايدة تماما"، أما القراءة الثانية فهي: "قراءة تضمن فاعلية تفاعلية مع القارئ ذاته الأمر الذي يضيف عليها صبغة أيديولوجية بحيث يسقط حضور العصر والقارئ معا على المقروء ( التراث وتاريخه)"<sup>3</sup>، وهذا ما ظل يؤكد عليه الدكتور محمود أمين العالم في قوله : " التراث لا يوجد في ذاته، وإنما هو قراءتنا له، وموقفنا منه وتوظيفنا له"<sup>4</sup>

إنّ لتعاقب الحضارات الإنسانية على مَرِّ التاريخ آثار تُخَلِّف وثقافات تُؤلف، وكان لا بد لكل حضارة تقوم جديدة أن تعترف مما تركت الحضارة السالفة لتبدا حياة ضاربة بجذورٍ وأسس في تاريخ من قبلها، وكان هذا حال الشعوب والأمم فكل خلف يستقي من سلفه ويمتخ من تركاته المادية والثقافية، إمّا بقصد أو من غير قصد بوعي ومن غير وعي.

<sup>1</sup> \_ محمد أمين العالم : مواقف نقدية من التراث، دار الفارابي، (دط)، بيروت، لبنان، 2004، ص 10.

<sup>2</sup> \_ حسين حنفي : التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للنشر، (ط4)، بيروت، لبنان، 1992، ص13.

<sup>3</sup> \_ حبيب بوهرور : الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتورا العلوم في الأدب العربي الحديث، إشراف : الربيعي بن سلامة، جامعة قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص 271.

<sup>4</sup> \_ محمود أمين العالم : مواقف نقدية من التراث، ص12.

يتوسّل الأدب خام المادة التراثية لتستحضر داخل النصوص على اختلاف توجهاتها وإيديولوجياتها ومراميها ليوظفها بطرائق وأساليب عديدة فيعبر بها أو عنها أو يعبر بها وعنهما في الآن نفسه، فقد لاحت إذن في سماء الدراسات الأدبية والفكرية مواقف متباينة بين متقبل موافق وداع لفكرة التراث أو معالجة هذه الظاهرة والعودة إليها في النصوص المختلفة، وبين رافض قطعاً ومعارض متحدث بلسان الحداثة ومواكبة الركب دون الرجوع القهقري، وموقف آخر لا يرى بالتوافق بين توسل بالتراث وتمسك به ومسايرة للحداثة، فهو يرى بالتخلي الكامل عن فكرة الحداثة والتراث، والتراث قبل كل شيء هو تجربة الإنسان الأوّل التي عبّر بها عن موقفه من الحياة تطوّرت لتكتسي حلّة كل عصر؛ ليصبح تجارب منعكسة في الآثار التي تركوها في المتاحف أو المقابر أو المنشآت أو المخطوطات ومازال لها تأثير حتى عصرنا الحاضر، وعليه : " فالتراث (Patrimoine) ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون، وعلوم عملت في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه، يوثق علاقة الأجيال العابرة التي على تكوين هذا التراث وإغنائه."<sup>1</sup>

كما يمكن اعتبار الرواية سرداً لأحداث في قالب فني فاعلوها أشخاص، حيث تتمازج هذه الأحداث بين الخيال و الواقع ؛ في أزمنة مختلفة وفي بيئة اجتماعية يختارها الروائي كمسرح لها موظفاً من تراثها ما يخدم عمله الروائي، فما هو معلوم أن الرواية هي أحد الأجناس الأدبية الحديثة التي ظهرت في الغرب وتأثر بها الأدباء العرب وهي بمعناها العام قصة نثرية طويلة تصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد معتمدة على السرد وعنصر التشويق<sup>2</sup>، لم يكن النص الأدبي بناء وحده أبداً فهو معتمد بالأساس على تمازج وتواشج بنيات مختلفة بتقنيات محددة تفضي إلى ولادة بنية متكاملة، فالنصوص الأدبية لا تنشأ اعتباراً من العدم إذ إن بناءه أمر هو تفاعل لعدد من النصوص السابقة داخل بوتقة تمثّل الإطار الذي يحكم سيرورة كتابتها، وهذا يجعلنا إلى مفهوم النص المفتوح الذي يدحض فكرة البنيويين حول أن النص بنية واحدة يمكن التحكم فيها على حد قول حسن مجّد حمادة أن:"مفهوم النص المفتوح المتعدد الذي جاء رد فعل مقابلاً لانغلاق البنيوي للنصوص وكذلك المفهوم التقليدي الذي يرى في النص وحدة متماسكة يمكن السيطرة عليها."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط2، 1984: ص63.

<sup>2</sup> - ينظر : مجّد بوزواوي : معجم مصطلحات الأدب ط1، دار الوطني للكتاب، الجزائر، 2009، ص 156.

<sup>3</sup> - حسن مجّد حمادة، تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط، 1977م، ص19.

وليكون القول آنف الإدراج تعبيرا عما يعرف نقدا بالتناص الذي برز في تبلوره الأولي عند الناقدة جوليا كريستيفا ومن ذلك فالنص النهائي مجموعة نصوص تم استدعاؤها إما عن طريق العقل الواعي أو عن طريق العقل اللاواعي للكاتب ليحتل مكانه فهو لا يظهر منعدم ويحمل عدة عصور متعاقبة بين طياته ولا يقبع في فراغ ولا بد أن يدرج ضمن سياقه المناسب ليفهم فهما صحيحا من قبل المتلقي الذي أصبحت قراءته كتابة ثانية للنص.

وبحديثنا عن التراث وسؤال العودة إليه وعمل المفكرين والباحثين وخاصة النقاد منهم عن طرق العودة إليه داخل النصوص الأدبية وتقنيات توظيفه وتأثير النص من خلاله يقول محمد عابد الجابري: " فالعودة إلى التراث في حياتنا المعاصرة هي جزء من عملية الدفاع عن الذات، وهي عملية مشروعة وتشترك فيها جميع شعوب الأرض وتبقى بعد ذلك كيفية التعامل مع التراث في العودة إليه وحدود توظيفه"<sup>1</sup>، إنَّ تشرب التراث من قبل السردية العربية الحديثة والمعاصرة أضحى يستدعي استخدام آليات جديدة لإطلاق العنان للمادة التراثية فـ "لقد سعت السرد العربية الحديثة والمعاصرة بوعي جديد وآليات مستحدثة إلى تحرير المعرفة التراثية، بإعادة النظر في نصوصها المختلفة وتفكيك معيقاتها الجاهزة القابلة دوما لمستجدات القراءة".

إنَّ المتمعن في مختلف النصوص السردية الحديثة والمعاصرة يجد أنها وصفت التراث على أنه " وساطة مفتوحة النهاية، غير تامة وغير مكتملة تتكون من شبكة من المنظورات المنقسمة بين توقع المستقبل، وتلقي الماضي، وتجربة الحاضر الحية"<sup>2</sup>، لتكون إذن هذه نقطة انطلاق الأعمال السردية الحديثة والمعاصرة في المتح من معين التراث واستحضاره وتشربه بمعرفة المعنى الحقيقي له وإدراك أهمية العودة إليه وقراءة الحاضر من خلال الاستناد إلى كل ما هو تاريخي لفهم الحاضر وإعطاء دفعة للسير نحو المستقبل وتصور رؤية له، وباعتبار المادة التراثية ثقافية بحتة فقد استرعت العمل عليها لما تحوي من مواد ثمينة توجب التنقيب والبحث فيها، " فالرجوع إلى المنجز التراثي، هو فعل مرتد إلى الوراء يهدف إلى الكشف عن المسكوت عنه في النص القديم الذي لم ينظر إليه السابقون لأنه لم يستجب لمتطلبات زمنهم وسياقات كتاباتهم، وبذلك أخذت النصوص السردية الحديثة والمعاصرة دورا جديدا محوره الكشف عن هوامش التراث، وتوظيفها لأهمية ما تقدمه للنص اللاحق في موضوع من الموضوعات وبذلك لا تتجاوز المادة التراثية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت لبنان، ط2، 1999م، ص252.

<sup>2</sup> - دفيد وورد الزمان الوجود السرد (فلسفة بول ريكور) تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1999م، ص90.

<sup>3</sup> - عبد الله بن صفية، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، ص82.

ومنه فإنّ الاستثمار في المادة التراثية يحيل إلى كسب ثمين ألا وهو النص الأدبي المفعم بالحركة التي نشأت جراء استقدام ما مضى فيم يحدث الآن واستشراف ما هو آت وتصوره، فالتنقيب عن المسكوت عنه في النص القديم هو إعادة خلق ديناميكية جديدة وبعث لما لم يكن خدوماً لمتطلبات النصوص غير المتساوقة مع كتابات الأقدمين حينها، كانت الأعمال السردية العربية الأولى منوطة بكل ما هو قديم ومحاوله إحيائه بالعودة إلى التراث واستخلاصه من أعماق المنجزات العربية القديمة، فكان " للمقامات تأثير واضح في الروايات/ القصص المترجمة والمؤلفة من الناحيتين الشكلية والأسلوبية فخضعت الرواية/ القصة للسجع، وكثرة المترادفات، والمفردات الصعبة، وكان لألف ليلة وليلة تأثير واضح في المضمون، فبرزت في النص الروائي معالم بطل الحكايات وخضعت الأحداث للمصادفات والعجائبي والحارق"<sup>1</sup>، واستناداً لما قاله الناقد " وتار " واسترشاداً به لمعرفة التأثير والتأثر الحاصل بين النصوص العربية القديمة والحديثة والمعاصرة نلغي النصوص العربية القديمة حتى إن لم تفرغ حملتها الفكرية داخل قلب النصوص الحديثة والمعاصرة إلا أن تأثيرها عليها كان واضحاً جلياً يظهر في استلهاها منها للغة والأسلوب وحتى الشكل في كثير الأحيان، فنجد أن الأدباء العرب قد اشتغلوا على التراث في نصوصهم على اختلاف تصنيفاتها الأدبية التي تعرفها حقبة الحداثة والمعاصرة، إلا أن هذا الاشتغال لم يكن كما في السابق ذلك التوظيف الكامل أو تلك العودة الكلية إلى التراث والخوض فيه بكل أبعاده كحاطب ليل، إذ إنهم أصبحوا يعملون في المادة التراثية استراتيجيات معينة ومدروسة بتصالبهما معا تحت ظلال طرق تعبيرية مستحدثة وجديدة تولد بناء نصياً مفعماً بالجمالية والفنية .

### 2- المواقف والآراء الفكرية من التراث:

ليس التراث العربي مجموعة من النصوص والقصائد القديمة فحسب بل هو سجل حيّ للتجارب والقيم التي بنت الهوية العربية عبر العصور فتختلف القراءات والمناهج في تأويل هذا التراث فبينما يرى البعض أنّه المرجع الثابت الذي يوجب الحفاظ عليه بكل ما يحمله من عراقية ويدعو آخرون إلى إعادة قراءته بنهج نقدي وتجديدي يمكن من استلهاه معانيه بما يتناسب مع تحديات الراهن والعصر الحاضر.

<sup>1</sup> - محمد رياض وتار توظيف التراث في الرواية العربية منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2002م ص 7.

وفي سياق هذا الحوار نجد ثلاث اتجاهات رئيسية تتباين في طريقة التعامل مع هذا الإرث الثقافي، تعبر كل منها عن رؤية فكرية مختلفة يقول مُجد رياض وتار: ويمكن أن نتبين ثلاثة مفاهيم رئيسية للتراث تشكل في مجموعها مفهوم التراث في الفكر العربي المعاصر وهذه المفاهيم هي:

### أ- مفهوم التراث عند المحافظين:

يدعو أنصار الموقف السلفي للعودة إلى التراث والتمسك بالقديم لمواجهة الغرب الذي أخذت حضارته تهدد المجتمع العربي ببنيتها التقليدية retuClassicalstruc التي رانت عليه طيلة فترة الاحتلال الأجنبي.

يشير وتار إلى رؤية السلفيين للتراث الذي يؤخذ عندهم كوسيلة للحفاظ على الهوية الثقافية ومواجهة التأثيرات الغربية وكل ما يدعو إلى التقدم بغيره فهو تأخر وهدم لمقومات الشخصية والهوية، هذا الموقف يظهر تمسكاً أعمى بالتراث ورفضاً قاطعاً للتغيرات التي ينظر إليها على أنها تهديد للهوية الثقافية والدينية بالدرجة الأولى ليبين وتار رفض السلفيين للجديد استناداً إلى رؤى دينية وقومية فيقول: "ويرفض الموقف السلفي كل ما هو جديد، ويدعو إلى الوقوف بوجهه، بحجة أنه من نتاج مجتمع وحضارة غربيين عن المجتمع العربي، منطلقاً في موقفه من رؤيتين دينية تقسم العالم إلى مؤمن وكافر، وتنسب الكفر إلى الغرب وحضارته، وقومية تضع العنصر "الجنس" في أولويات اهتماماتها، وتتطلع إلى الماضي، حيث المجد الغابر والحضارة المزدهرة، ويسوغ الموقف السلفي رفضه للجديد والحضارة الغربية، وتمسكه بالقديم بارتكازه إلى فلسفة مثالية Idealism ترى أن قمة الحضارة وجدت في الماضي، وأجبرت مرة واحدة فقط، ولن تتكرر في المستقبل، ولذا يجب على الحاضر، لكي يكون جميلاً وزاهراً، أن يعود إلى الماضي، ويحاكيه في كليته، ويكون نسخة على صورته".<sup>1</sup>

يرفض هذا الموقف أن يؤخذ من إرث الحضارات الغربية لعدم تناسب البناءات المجتمعية بين الحضارة العربية والغربية والأخذ بعين الاعتبار معطين مهمين وهما الرؤية الدينية لكل منهما والقومية، وما يتبناه موقف السلفيين هو اعتبارهم أنّ النموذج الأمثل والمنهل الأعذب الذي يتوجب الأخذ منه هو الماضي الذي كان قمة الازدهار وبالتالي فهو المرجع الذي وجب العودة إليه دائماً وأبداً.

التيار التراثي الثاني هو ما يعرف بموقف الحداثيين من التراث ومفهومه عندهم.

<sup>1</sup> - مُجد رياض وتار تزظيف التراث في الرواية العربية منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2002م، ص 22

### ب- مفهوم التراث عند أصحاب الحداثة:

يعد التراث أحد المفاهيم المحورية في الخطابات الفكرية والثقافية العربية، خاصة في ظل التحولات الكبرى التي شهدتها العالم العربي منذ القرن التاسع عشر، فقد أصبح سؤال التراث سؤالاً وجودياً يتعلق بالهوية والانتماء والمصير الحضاري، فعندهم "يقع الموقف الراض للتراث في الجهة المقابلة للموقف السلفي إنه - على عكس الموقف السلفي - يرفض الماضي رفضاً كلياً، ويرفض العودة إلى التراث، ويقراً الحاضر في ضوء المستقبل فقط، ويستبدل الغرب بالتراث، منطلقاً من أن المثل الأعلى يوجد في الآخر - الغرب هنا - لا في الماضي وأنّ التراث بوصفه ينتمي إلى زمن مضى، لا يمكن أن يستمر في الحاضر وهكذا"<sup>1</sup>، فهو لا يرى في التراث ممارسات يمكن اقتراحها لمواجهة قضايا ومشكلات الواقع الراهنة، فمثلاً عبد الله العروي صاحب الأيديولوجية العربية المعاصرة في مشروعه الفكري يؤمن بالحداثة لحد القطيعة التامة مع التراث ليكون مع الجابري صاحب كتاب نحن والتراث على طريقي نقيض بعمله على مشروعه التراثي لإبراز الجوانب المشرقة من التراث العربي والإسلامي حيث رأى أن أفكار ونظريات ابن خلدون وابن سينا وابن رشد صالحة وفعالة في عصرنا الحديث إذا قرئت بمقاييس مناسبة، على عكس العروي الذي ينفي نفع وصلاح كل ما سبق في زماننا.

- يمثل هذا الموقف القطيعة التامة مع التراث إذ لا مكانة للتراث في بناء ما هو جديد إنما هو آليات وممارسات تخص الوقت الذي وجدت فيه وتختص بالحدث الذي زامنته وبالتالي فهي تقليدية لا حياة لها في الحاضر فلا يمكن استخدامها واستخدامها لترويض مشكلاته.
- ينفي هذا الموقف تلك المركزية التي أعطاها السلفيون للتراث وأنه لا فائدة منه ولا بد من اتخاذ الآخر الحاضر قدوة للسير على منوالها.
- بعد الموقنين المحافظ والحداثي نجد الموقف الثالث الذي يتعارض في مضمونه مع أسس ومبادئ الموقنين السابقين غير أنه لا ينفي كل مقوماتهما.

### ج - الموقف الجدلي:

يعرف الموقف الجدلي من التراث خصوصاً في الفكر الحداثي العربي، حيث لم يعد بالإمكان النظر إلى التراث بوصفه وحدة صلبة تؤخذ كلياً أو ترفض كلياً فقد " ظهر الموقف الجدلي في فهم التراث كرد فعل ضد

<sup>1</sup> - ينظر: محمد رياض وتارتوظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، ص 25.

الاتجاهين السلفي والرافض، فهو يقوم على أسس ومبادئ تتناقض مع الأسس التي قاما عليها، وقد واجه التيار الجدلي التيار السلفي بنزع القداسة عن التراث والنظر إليه على أنه نتاج الوعي البشري في التاريخ والمجتمع وواجه التيار الرافض بالربط بين الماضي والحاضر، تبدت رؤية الموقف الجدلي في ارتقائهم بالتفكير في ثنائية التراث والحداثة على أن المفهومين غير متناقضين إلى الحد الذي يجعل من التراث شيئاً يجب إهماله وأن طرحه غير ذي أثر في معالجة معضلات العصر وأن استحضاره إخراج له من السياق الذي هو فاعل مؤثر في وهذا بعيداً عن إلباسه ثوب القداسة الذي وشحه إياه التيار المحافظ<sup>1</sup>.

كما أن مفهوم الحداثة وارتباطه بالمستقبل إن كان يومئى بالقدرة على التجديد ومعالجة مشكلات الحاضر بأدوات مساوقة له فهذا لا يعدم أن للتراث عناصر قادرة على الاستمرار والتفاعل مع الواقع لدفع عملية التطور، استناداً إلى ما جاء به وتار فإن الموقف الجدلي موقف يعطي رؤية تخرج كلا من التراث والحداثة من دائرة التعصب للرأي والتمسك بالمبدأ وإن تنافى مع دوافع التقدم، فيرى أنه لا بد للموقف السلفي أن يفتح على معطيات حداثة ليعملها في مشاريعه التجديدية وكذا فإن على الموقف الحدائي أن يعيد الربط بين الماضي والحاضر بتوسل العناصر الحية للتراث وفتح مجال لإعمالها في الحاضر. فيكون الموقف الجدلي قد قدم رؤية واسعة تدعو إلى نبذ التعصب الفكري إذ لا بد من استغلال التراث دون قداسة لصالح الحداثة واستغلال الحداثة للتراث دون قطيعة في حدود شروط تاريخية واجتماعية معينة.

– مُجَّد عابد الجابري:

يتبلور رأي الجابري حول التراث من خلال مشروعه الفكري الذي يدرس أسس التفكير العربي ومبادئه للوصول إلى النهضة ليعتمد في عمله على النقد الإيستيمولوجي نافياً كل الإيديولوجيات وعليه يرى: "أنه من المستحيل تحقيق نهضة عربية إسلامية معاصرة، بدون أن ننطلق من تراثنا العربي الإسلامي، أو ننتظم داخل تراث غيرنا بل علينا أن نقرأ تراثنا بأدوات جديدة، وبعقلية معاصرة تنطلق من تصورات بنوية داخلية واستقراء لحثيات الموروث مرجعياً وتاريخياً، قصد استقراء أبعاده الأيديولوجية لمحاربة التخلف، ومواجهة الطغيان الاستعماري، وتقويض النزعة المركزية الأوروبية فضحاً وتعرية وتفكيكا وهذا كله من أجل تشييد ثقافة عربية أصيلة مستقبلية، تكون أرضية ممهدة لانطلاقنا حيال المستقبل، فلا بد – إذا – من خطوة إلى

<sup>1</sup>– ينظر : مُجَّد رياض وتارتوظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، ص 23 – 24.

الوراء من أجل خطوتين إلى الأمام، بشرط أن تكون قراءتنا موضوعية قائمة على الاستمرارية والتأويل المعقلن في ضوء تصورات معاصرة متجددة"<sup>1</sup>، يرى الجابري أنه لتحقيق نهضة معاصرة، يجب إعادة قراءة التراث بآليات غير تقليدية حديثة وتنتهي إلى عقلية معاصرة، تستند في تحليلاتها إلى استقراء تاريخي يكشف أبعاده الأيديولوجية لتجاوز التخلف، والوقوف في وجه الاستعمار الفكري والعقدي، والخروج على هيمنة المركزية الأوروبية فيتسم موقف الجابري من التراث بالواقعية والجدلية، إذ يتناوله من الداخل والخارج في إطار ارتباطه بطروفه التاريخية والسياقية.

– عبد الله العروي:

يمكن الوصول إلى رأي العروي في التراث إذا تعرفنا على مشروعه الحدائني وتطرقنا إلى أهم أعماله مثل كتابه الأيديولوجية العربية المعاصرة ل: "نقرأ له في هذا السياق قوله؛ "الحداثة موجة العوم ضدّها مخاطرة ماذا يبقى؟ إما الغوص حتى تمرّ الموجة فوقنا، فنظل حثالة، وإما أن نعوم معها بكل ما لدينا من قوة، فنكون من الناجين في أية رتبة كانت"<sup>2</sup>، في اعتقاد العروي أنه لا خيار من السير في ركب الحداثة وقطيعة التراث هذا هو الطريق الموصل اما دون ذلك فلا شك أنه وقوع في مصيده التخلف عن مصاف الدول المتقدمة فالحداثة ضرورة وقطيعة التراث أمر تحتمه الظروف لا خيار فيه.. لأنه لا يرى في العودة إلى عناصر التراث قدرة على فتح آفاق جديدة للنهضة والمضي قدما نحو التطور والازدهار.

– طه عبد الرحمان:

إن نظرة طه عبد الرحمن للتراث لا تتبدى إلا بالولوج إلى مختلف أعماله خاصة كتابه روح الحداثة، ومعرفة ممارساته الفلسفية النابعة عن تجرّبه الصوفية الممتدة من التراث الإسلامي حيث يقول: "فعقل التراث عقل واسع يجمع، إلى النظر في الأسباب، والنظر في المقاصد، وعلمه علم نافع يجمع، إلى النظر في الأسباب والمقاصد والعمل بها وفق ما يفيد الغير ويفيد الآخر، بينما عقل الآليات المنقولة عقل ضيق يقطع الأسباب عن

<sup>1</sup> - جميل حمداوي، مواقف من التراث العربي الاسلامي (مُجد عبد الجابري وطه عبد الرحمن) أنموذجان كتاب الإصلاح 2015/07/04 ص 25. نقلا عن مُجد عابد الجابري، (التراث ومشكل المنهج)، المنهجية في الأدب والعلوم الإسلامية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1986، ص87.

<sup>2</sup> - نبيل فازو، عبد الله العروي، المشروع الفكري ووحدة المتن (ملاحظات على هامش حوار العروي مع مجلة النهضة)، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2015، ص 20. نقلا عن. A.Laroui, Islamisme, Modernisme, Libéralisme, op, cit, p.50.

مقاصدها، وعلمها علم مشبوه، لا يوجب العمل ويحتمل الضّرر وشتان ما بين العقليين وما بين العلمين!<sup>1</sup> ينزّه طه عبد الرحمن التراث عن النقص الذي يعتري الآليات المنقولة وينزل إليه إذ أنه يملك عقلا يمكنه التمييز في المقاصد ولا يشوبه ما يشوب الآليات الأخرى وعليه فإن للتراث قدرة تجعله أكثر فعالية وشمولا وهو ضروري للنهضة والتطور.

- عبد القادر الفاسي الفهري: يقول عبد القادر الفاسي الفهري:

"إنه يمكن أن يتوخى من التراث انطلاق النهضة كذلك يمكن أن ننظر إلى التراث كعائق للنهضة وهذا شيء ليس من باب التمني، ولا من باب عدم التمني، ولكنه شيء موجود وفعلي، وهو أنّ التراث في كثير من الأحيان عائق لهاته النهضة... إنّ التراث في كثير من الأحيان، يجعلنا نتأخر عن ظرفنا، ونبقى دائما في زمان التراث لا زماننا الحالي والمستقبلي هناك تراجع وعدم ولوج التاريخ"<sup>2</sup>، في رأي الفهري أن للتراث القدرة على استنهاض الأمة من زاوية ومن زاوية أخرى فهو يشكل عائقا لنهوضها، فهو عامل مؤثر في التقدم إذ يحمل الأمة على العيش متأخرة في زمان غير زمانها وبالتالي ستبقى بعيدة عن مستقبلها.

- جميل حمداوي:

النزوع التراثي لجميل حمداوي ظاهر جلي حيث إنه يصف التراث على أنه هوية الإنسان فيقول: "التراث هو الهوية الحقيقية للإنسان العربي، ومنبع الأصالة والمعاصرة، بل هو المنطلق لمعرفة الماضي، وبناء الحاضر واستشراف المستقبل فلا يمكن تحقيق الحداثة أو التحديث إلا باستيعاب التراث، وفهم الماضي جيدا والمشاركة في البناء الثقافي والمعرفي والعلمي والأدبي والفني والتقني"<sup>3</sup>، يرى حمداوي أن هوية الفرد العربي وأصالته هي تراثه، ومنه فإن استئناف النهضة الحديثة لا ينطلق إلا من نقطة التراث والذي هو الفرد العربي المستوعب للتراث بشكل جيد والعامل على قيام مستقبل الأمة على أسس ثقافية ومعرفية متينة تمس شتى المجالات العلمية والأدبية قصد امتلاك نظرة استشرافية للمستقبل.

<sup>1</sup> - جميل حمداوي، مواقف من التراث العربي الاسلامي (مُجد عبد الجباري وطه عبد الرحمن) أنموذجان، ص 54.

<sup>2</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، مناقشة في الأدب والعلوم الانساني، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1986 م ص 94.

<sup>3</sup> - جميل حمداوي، مواقف من التراث العربي الاسلامي (مُجد عبد الجباري وطه عبد الرحمن) أنموذجان، ص 58.

– مُجَّد عمارة:

وكان عمارة في تمهيدته لبحثه الموسوم " التراث في ضوء العقل " قد حدد البحث بقوله: "إن الوعي بالتراث وإحيائه لا يعني تقليده، ولا أن نعود بحاضرنا ومستقبلنا فنصبهما في قوالب الأمس البعيد .. ولكنه يعني :

- أن نبصر جذور غدنا الذي نريده مشرقاً في الصفحات المشرقة من التراث.
- أن نجعل العدل الاجتماعي، الذي نكافح من أجله، الامتداد المتطور لحلم أسلافنا بسيادة العدل في حياة الإنسان.
- وأن نجعل قسماة العقلانية والقومية في تراثنا زاداً طيباً وروحاً ثورية تفعل فعلها في يومنا وغدنا.
- وبذلك وحده يصبح التراث طاقة فاعلة وفعالة وليس ركماً أو أكفان موتى كما يحسبه ويريده "الكثيرون"، يطرح مُجَّد عمارة موقفاً عقلانياً وموضوعياً من التراث من خلال أهدافه مؤكداً على نبذ التقليد الأعمى وجعله مبدءاً يرتكز عليه، وأن يكون التراث مصدر إلهام لمستقبلنا وأن تكون غايتنا تجديد حلم أجدادنا الحضاري بتحقيق العدالة المبنية على التزود بالعقلانية والقومية كوقود للتحويل الثوري بهذه الرؤية استراتيجية لإحياء الوعي التاريخي والاستفادة منه وتحريكه إيجاباً لمصلحة الأمة.<sup>1</sup>

– زكي محمود نجيب:

تطلب الفاعلية للتقدم عدولنا عن ثقافة اللفظ أو الكلام إلى ثقافة العمل والتأسي نهضات الحضارات المعاصرة لنا وتقبلها وإهمال التراث حيث يقول زكي محمود: "إن تحولنا من ثقافة اللفظ إلى ثقافة العلم والتقنية والصناعة لن يكون بالرجوع إلى تراث قديم بل إن المصدر الوحيد هو أن نتجه إلى أوروبا وأمريكا نستقي من منابعهم ما تطوعوا بالعطاء وما استطعنا من القبول وتمثل ما قبلناه، والخلاصة إن الدكتور زكي نجيب محمود يتبنى مذهب النفعية بكل أبعاده فإن بقي بعد هذا شيء ما للتراث فهو مادة للتسلية وتزجية الوقت"<sup>2</sup>، يعتبر زكي نجيب محمود أن التراث لا يتعدى كونه ألفاظاً لا نخدمنا في شيء ويجب العدول عنه إلى علوم الغرب الواقعية فهي الحل لتجاوز ركودنا المادي والمعنوي وعليه فلا يمكن تلبية احتياجاتنا من التراث القديم بل نستقيها من

<sup>1</sup> – عبد الإله نيهان التراث العربي مفهوم و مواقف مفكرين، بحث مقدم إلى المؤتمر الثامن لمجمع اللغة العربية بدمشق ص 06. نقلا عن محمود عمارة، التراث في ضوء العقل، دار الوحدة، بيروت، لبنان، 1980، ص 07.

<sup>2</sup> – عبد الإله نيهان التراث العربي مفهوم و مواقف مفكرين، ص 09 نقلا عن محمود نجيب، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1971، ص 17.

التجارب الناجحة من الحضارات المتقدمة، ليؤيد برأيه هذا ويدعم ما جاء به العروبي في مشروعه الحدائى الذى ينفى استخدام واستقدام التراث لتعبيد الطريق للوصول إلى النهضة.

### - مُجّد آركون:

القطيعة عند آركون هي بمثابة العملية الاستكشافية التحليلية والنقدية للفكر والتراث العربى الإسلامى والتقاليد "فتجربة الغرب التاريخى منذ أكثر من قرنين تثبت لنا على ان الغرب ما استطاع إنجاز أعماله الكبرى إلا بعد أن تخلص من الأفق الدينى القروسطى؛ أى التصور المظلم والمرعب للدين، وليس الدين فى حد ذاته - التصور الذى يقتل فى الانسان حس المبادرة والحركة ويدعوه للاستكانة والاستسلام ورفض الانخراط فى العالم"<sup>1</sup>، يرى مُجّد آركون أنّ تطور الغرب ما كان ليكون إلا بالانفصال عن الجزء المرعب من الدين فى نظره وما يحمّله من تخوفات وطقوس تجعل من الانسان عنصراً خاملاً فى مجتمعه فتلك الواجهة المرعبة للدين تثبط فعل الفرد داخل الخلية المجتمعية، فلا بد من التحرر من أغلال التراث وبرائى الدين.

يرى النقاد أن للتراث مستويات متعددة حسب رؤى وتوجهات الدارسين والنقاد، فكان لكل رأى الذى يتفق وإيديولوجيته وتطلعاته فمن هؤلاء من رأى بالتخلي الكلى عن التراث وعدم الرجوع إليه ومنهم من تمسك بالتراث تمسك المقدس له ووجب العودة إليه إذ أن تمجيد الماضى والغوص فى التاريخ يبنى المستقبل على لبنات وأسس متينة وإن كانت أطلالاً فهى تبقى أسساً لصروح تقام عليها صروح أشمخ منها، وهناك من ينظر إلى التراث فلا يرى تعارضاً بين الرجوع إليه ومواكبه ركب الحدائى فى ان واحد "إن من ينظر فى التراث العربى ويتأمل فيه وفى اتجاهاته لا بد أن يكتشف أن هذا التراث الهائل كميّاً وفكريّاً وأدبياً ولغوياً ... الخ .. يشتمل على كثير فهناك الجانب الخرافى وهناك الجانب العقلانى، وهناك الجانب الضاحك والجانب العابس، وهناك جانب الفرق والعقائد، وهناك الاتجاه العابث اللامبالي، إنه يشتمل على كل ما يمكن أن يشتمل عليه تراث أمة عربىة تكدّس خلال مئات السنين وهو يحمل صوراً من حياتها السلمية أو المتناقضة ويصور أهواء أفراد منها ونزعاتهم على مر السنين وتعاقب الأيام"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - وسيلة عيسات مفهوم القطيعة بين التراث والحدائى فى فكر مُجّد آركون، مجله دراسات الإنسانىة، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، العدد: (2) 2016، ص 158.

<sup>2</sup> - عبد الإله نبهان التراث العربى مفهوم و مواقف مفكرين، ص 03.

ف نجد أن التراث بحر لا ساحل له من خلال كل تلك الأشكال التي تمثل تجسيدات المعبر بها عنه والمعبر عنها في إطاره، فالتراث هنا هو ذلك الحيز الهائل كما وفكرا وأدبا ولغة والذي يشتمل على الكثير مما يدل على أن هذا المخزون لا يقف عند مستوى النصوص التاريخية فحسب بل يمتد ليشمل مكونات ثقافيه متعددة، ويمكن القول أنّ التراث العربي بكل بناءاته وأبعاده لا ينحصر في أنه مجرد تكديس نصي أو تاريخي إنما يتعدى ذلك ليكون حقلا غنيا ومساحة ثرية تتيح للمفكرين تأويله كل بما يتناسب مع متطلبات فكره النقدي ورؤيته التحليلية وتعدد أوجهه يمنح للقراء المختلفين نصوصا متنوعة تثير غرائزهم التحليلية وتعطي مجالا أرحب لاستنباط معان تتراوح بين النقد العقلاي والعاطفي مما يجعله مادة حيوية حافلة بتناقضات تعكس روح الأمة وتاريخها باعتبار التراث حيزا وميدانا شاسعا يضم بين صفحاته كل ما يبحث عنه ذوو التوجهات الفكرية المختلفة من استدلالات لتبرير نظرياتهم وتدعيم رؤاهم بشواهد قوية، وذلك بإعادة بلورة تلك الحمولة التراثية حسب رؤى وتوجهات المفكرين والأدباء ليبرز ذلك في نصوصهم وتعبيراتهم، " فإذا كنت تريد أن تحتج بالتراث وتستضيء به على اتجاهك العقلاي فأنت واقع فيه على ما تريد، وإن كنت تريد تأييد مذهب يدعو إلى الحياة والاستمتاع فيها وبها فهو يمدك بمئات الشواهد، وإن كنت تريد تأييد مذهب زهدي تقشفي فأنت واقع فيه على مجلدات وقصص وأخبار لا نهاية لها وإن كنت ممن يؤمن بالغرائبيات وقصص المخلوقات الخفية فإنه يقدم لك زاداً شهياً يفوق ما تريد، وإن كنت تؤيد مذهباً أو فكرة تتشع بالغموض فإنه يمدك بغموض الغموض في نصوص قد لا تجد لها مثيلاً إلا بعد لأي عند أمم أخرى، وقل مثل ذلك عن اتجاهات التشاؤم أو التفاؤل والكرم والبخل والعقل والحمق كان طبيعياً إذن أنه عندما اتجه المفكرون العرب إلى محاولة الاستناد على التراث في مذاهبهم الحديثة ودعواتهم الاجتماعية أن يلحظوا سعة التراث وامتلاءه بكل ما يريد أحدهم أو يريد غيره من النقيض إلى النقيض، لذلك سعى كل اتجاه من هذه الاتجاهات إلى تحديد موقف له من التراث يتفق مع دعوته ومع مذهبه"<sup>1</sup>، يجد كل باحث ضالته إذا لجأ إلى التراث لاحتضانه كما هائلا من الشواهد التي يتم أخذها وفقا لاحتياج كل طرف من الأطراف في خضم الصراعات الفكرية كوسيلة يتم استخدامها لإضفاء الشرعية على آراءهم سواء في نقد الواقع الاجتماعي او في بناء نظريات فلسفيه وتجديديه ومن هذا كله تبرز اهمية التراث العربي كأداة متعددة الاستخدام في بناء وتأييد المواقف الفكرية المختلفة، مما يساهم في تحديد الخطاب الثقافي ومواكبته لمتطلباتنا المعاصرة.

<sup>1</sup> - عبد الإله نيهان التراث العربي مفهوم و مواقف مفكرين ص، 3-4.

إنّ العلاقة بين الحداثة والتراث لا تعنى بالتحول من الماضي إلى الحاضر بل هي تفاعل ديناميكي يعاد فيه قراءة التراث بعيون نقدية وتأويلية وهي أيضا تيار فكري معاصر يبحث عن جذوره في التراث "فالبحث لم يجر من التراث إلى الحداثة وإنما كان هناك مسبقاً مذهب حديث معاصر يُنبش له عن أصول في التراث أو عن مؤيدات له، فكان الاتجاه حقيقةً من الحداثة إلى التراث لتأييد الحداثة ممثلة بالمذاهب الماركسية والقومية والثورية المعتدلة والمتطرفة والصوفية .. ويكل ما هو حاضر على ساحة الحياة"<sup>1</sup>، لم يكن البحث الفكري مجرد رحله انتقالية من التراث إلى الحداثة بل كان عملية استكشاف عميقة ومستمرة للجذور التراثية التي تدعم الأفكار الحديثة وتجدها، وعليه فإن التراث ليس إرثاً جامداً بل هو مخزون نقدي يحمل في طياته بذور التجديد والحداثة إذا أعيد استدعاؤه واستعماله بالشكل السليم والأدوات المناسبة.

لتكون العلاقة التفاعلية بين الحداثة والتراث انعكاساً لقدرة الفكر العربي على الاحتفاظ بتراثيته مع الاستفادة منه في مواجهة تحديات العصر مما يجعله مرجعاً دائماً لتجديد الحوارات الفكرية والثقافية.

---

<sup>1</sup> - عبد الإله نيهان التراث العربي مفهوم و مواقف مفكرين، ص4.

# الفصل الأول:

التراث وتمثلاته

في الرواية التاريخية.

## المبحث الأول : الرواية التاريخية في الأدب العربي بين الظهور والنشأة.

يَعْنُ لمتتبع مسار ظهور الرواية التاريخية العربية عامة والجزائرية خاصة من الولادة إلى النضوج عبر خط التاريخ أنّ هذه الرواية مرّت بمراحل وهي سنة الخلق إذ لا شيء يولد كاملاً فاعلا حتى يعالج ويُصقل.

### 1- ظهور الرواية التاريخية في ساحة الأدب العربي:

إنّ التشكيل المبني على دعامة الرواية والتاريخ قد احتل مساحة مهمة في نتاجات النقاد والباحثين وذلك لهدف الكشف عن مدى تجانس هاتين المادتين \_ الروائية والتاريخية \_ وعمق التعلق بينهما في بلورتها لنص روائي تاريخي، هذا الأخير الذي استولى على اهتمام الدارسين واشتغل في إنتاجه الروائيون بآليات وطرائق علمية دقيقة، وذلك استناداً إلى " رؤية تفرق بين ما يهدف إليه التاريخ حين سعيه إلى محاكاة الماضي بمقاربة أحداثه ووقائعه علمياً....." <sup>1</sup>

إن النص التاريخي نزاع إلى العلمية والدقة والموضوعية ليكون النص الروائي التاريخي نصّاً ميثالاً إلى الواقعية أكثر منه إلى الخيال والميتافيزيقا، فهو توصيف لأحداث وقعت فعلاً وحقيقة إذا اعتبرنا النص المؤرخ ترجمة لما وقع فعلاً في زمن ماضٍ وقد وصل إلينا بكل تفاصيله، ولعل صفة العلمية والدقة في التاريخ نسبية إلى حد ما على اعتبار أن التاريخ يكتبه المنتصر فلا بد أن للمهزوم تاريخاً قد حُجِد وأحداثاً قد أهملت وبالتالي فإن في التاريخ دقائق قد عُيِبَت، لتبقى علميّة ودقّة المادة التاريخية تتراوح بين النسبية والمطلق بناء على اعتبارات منها ما يجعل لها القدرة على تصوير الأحداث كما وقعت فعلاً في إطارها الزمني والمكاني الحقيقي وبكل تفاصيلها ومنها ينفي عنه هذه الإمكانية، على حدّ قول بول ريكور: " الماضي هو ما حدث فعلاً، بعيداً عن متناول المؤرخ" <sup>2</sup>.

نشأت الرواية العربية في كنف التاريخ منذ بزوغ نورها وبداية وضوح معالمها، ترجع إليه فتأخذ منه عناصره وتفيد من مجرياته بآليات وطرق عديدة ومختلفة، بالنظر إلى الفرد العربي الذي كاد يتبرأ من تاريخه وتراثه وقيمه الحقيقية إلا ما يتوهمه لفظاً دون الحفاظ عليه فعلاً، أبت الرواية أن تكون الهادي الذي يعيد العربي إلى صوابه وثقافته وبالتالي هويته من خلال توسلها بالماضي لبعث الروح العربية من جديد، انطلقت الرواية العربية

<sup>1</sup> - عبدالله بن صفية ، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، دار الباحث، الجزائر، ط1، 2020م، ص09.

<sup>2</sup> - بول ريكور، الزمان والسرد- الحكمة والسرد التاريخي، ترجمة: سعيد الغامبي/ فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان ط1، 2006م، ص157، نقلًا عن بن صفية عبد الله، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة ص 11.

التاريخية من موضعين اثنين، الأول كان سيرها على خطى الرواية التاريخية الغربية في خضم موجة التبعية والتأثر أما الثاني فهو النزوع إلى السرود العربية القديمة وهذا ما جعل لها قدمين وصلت بهما إلى إنتاج نصوص قيمة وعالية في الإبداع " فإذا كانت الرواية الغربية قد عادت إلى هذه السرود - العربية القديمة - وأفادت منها فإن الرواية العربية قد أفادت من جانبيين فاستنبتت من تربة غربية بعضا من فنيات التوظيف المرجعي في رواياتها، حتى وإن أخذت الفكرة عنها إن أردنا تأييد من ذهب إلى ذلك، لكنها عادت في الوقت نفسه إلى تراثها واستلهمت منه شيئا من مادته التاريخية وطرائق التعبير والعودة إلى رواياتنا العربية يكشف ذلك"<sup>1</sup>، إن في تتبع مسار تطور كتابة الرواية التاريخية العربية من قبل النقاد أوضح أنها مرت بثلاثة أجيال اشتغلت على الكتابة الروائية باستدعائها للمادة التاريخية وصهرها في بوتقة السرد غير أن طرائق استغلال المادة التاريخية اختلفت من جيل لآخر، تمثل الجيل الأول حسب ما أجمع عليه النقاد في كتابات " سليم البستاني بداية من " زنوبيا " التي صدرت سنة 1871م وبعدها " بدور " سنة 1872م و" الهيام في فتوح الشام" سنة 1874م لترد فيها أعمال جرجي زيدان التي غطت ما كتبه البستاني كما وكيفا، فأصدر " المملوك الشارد" 1891م، "استبداد المماليك" 1892م...، وما سمي بسلسلة روايات تاريخ الإسلام (1891م - 1914م)، لتظهر بعدها نتاجات فرح أنطون ويعقوب صروف، وأمين ناصر وغيرها من الأعمال"<sup>2</sup>، كتبت هذه الأعمال الروائية باستثمارها بأحداث تاريخية مثلما وجدت في كتب التاريخ باستثناء خلق حبكة تدور في فلكها تلك الأحداث فكانت ميالة إلى الواقع قريبة من الحقيقة، وذلك للتحفيز على مطالعة التاريخ والتعريف بالبطولات والأعاجيب العربية، فكانت قراءة تلك النصوص قريبة جدا من قراءة كتاب تاريخ ليظهر على إثر هذه الحركة الروائية جيل ثانٍ تحكّم في توظيف المادة التاريخية لصالح النصوص الروائية بطرق أخرى فعمل على "الاستلهام للأشكال والموضوعات التراثية والوطنية والاجتماعية والأخلاقية والعاطفية تجليات أدبية - بمستويات دلالية مختلفة - لإبراز الذات القومية في مواجهة الغرب"<sup>3</sup>، ومن أهم رواد الجيل الثاني مُحمّد فريد أبو حديد، علي أحمد باكثير، علي الجارم... وغيرهم، وقد رأى مُحمّد مندور في الجيل الثاني الذي قوى هذا الإتجاه التاريخي إذ يقول: "الإتجاه التاريخي الذي ابتدأه جرجي زيدان، وجاء بعده فريد أبو حديد فجدد في معناه وحدد من وسائله أو شك أن يخلقه خلقا جديدا في "الملك الضليل" و"زنوبيا"، وتبعه في ذلك شاب

<sup>1</sup> - مُحمّد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، ص 09.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الرحمان ياغي، في الجهود الروائية ما بين سليم البستاني ونجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ص 159.

<sup>3</sup> - محمود أمين العالم، الرواية بين زمنيها وزمانها، مجلة فصول، القاهرة - مصر، مج 12، العدد: 01، 1993م، ص 17.

ينبعث منه الأمل وهو علي أحمد باكثير كاتب "أخناتون" و"سلامة القس..."<sup>1</sup>، بعث هذا الجيل الرواية التاريخية وجدد في معناها غير أن جيلاً ثالثاً وطأ الساحة الروائية بأقدام المعاصرة، جعل من التاريخ مخزناً يغرف منه مادته ليوظفها في أطر تجعل تلك المادة مستساغة مظهرة لسياقات خفية، جاء هذا الجيل "مقدماً قراءة واعية له - للتاريخ -، لا تنكر فضله لكن تسعى لتعريفه من أي وثوقية أو تضليل، فلا ترتبط روايات هذا الجيل "بالتاريخ لتعيد التعبير عما قاله بلغة أخرى، بل ترتبط به للتعبير عما لا يقوله"<sup>2</sup>، وبالتالي فإن ما أتى به هذا الجيل يرفض كل توظيف للتاريخ في النصوص الروائية العربية على شاكلة ما جاء به الرعيل الأول الذي بادر في هذا الشكل من السرد الروائي.

نال الاتجاه التاريخي عند الروائيين العرب حظوة عن باقي الاتجاهات فقد مسّ هذا النوع من الكتابة الروائية كل أقطار البلاد العربية، إذ لم يقتصر على المشرق العربي باعتبار مركزيته المزعومة في الأدب، لنجد أنّ لأعمال الروائيين المغاربة دور لا يستهان به في إدخال الاتجاه التاريخي في الكتابة الروائية إلى البلاد العربية، فقد حمل روائيون جزائريون على غرار الكتّاب المغاربة مشعل الرواية التاريخية مع أوائل من تبناها حين نضجها ومن هؤلاء: واسيني الأعرج "رواية الأمير"، عبد الحميد بن هدوقة "ريح الجنوب"، أحلام مستغانمي "ذاكرة الجسد".

## 2- مفهوم الرواية التاريخية :

ظهر فن الرواية في الأدب العربي حديثاً في مطلع القرن العشرين، وذاع بعد ذلك وانتشر انتشاراً واسعاً، وتعددت أنواعه وأغراضه ومبادئه، ويمكن تعريف الرواية على أنها: "نص نثري تخيلي سردي واقعي غالباً، يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم، وهي تمثل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة."<sup>3</sup>

ويمكننا تعريف الرواية بأنها: جنس أدبي نثري سردي خيالي، يربط بين عناصر الحدث والشخصيات والزمان والمكان فيه لغة شاعرية دالة، ذات بعد إنساني.

وتعد الرواية التاريخية أحد أهم أنواع الرواية بشكل عام، هي خطاب أدبي ينشغل على خطاب تاريخي مثبت سابقاً عليه انشغالاً أفقياً، يحاول إعادة إنتاجه روائياً، ضمن معطيات آنية لا تتعارض مع المعطيات

<sup>1</sup>- محمد مندور، في الميزان الجديد، مكتبة تحفة مصر، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت، ص39.

<sup>2</sup>- عبد الفتاح الحجمري، هل لدينا رواية تاريخية، مجلة فصول، القاهرة - مصر، مج 16، العدد: 03، 1997م، ص 63.

<sup>3</sup>- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون-لبنان، ط1، 2002م، ص 99.

## الفصل الأول:..... التراث وتمثلاته في الرواية التاريخية.

الأساسية للخطاب التاريخي وانشغالاً رأسياً عندما تحاول إتمام المشهد التاريخي من وجهة نظر المؤلف إتماماً تفسيرياً أو تعليلياً أو تصحيحياً، لغايات إسقاطية أو استذكارية أو استشرافية.<sup>1</sup>

ف"الانشغال الرأسي" هنا يوحي بتدخل أعمق من الروائي في المادة التاريخية، فهو لا يكتفي بعرض الأحداث بل يقدم رؤيته وتفسيره الخاص لها.

وقد يسعى الروائي إلى تفسير دوافع الشخصيات، وتعليل الأسباب الكامنة وراء الأحداث، أو حتى تصحيح روايات تاريخية سابقة يرى أنها ناقصة أو خاطئة، لغايات إسقاطية أو استذكارية أو استشرافية.

✓ إسقاطية: قد يسقط الروائي قضايا أو هموم معاصرة على الماضي، بهدف فهم الحاضر أو نقده من خلال مرآة التاريخ.

✓ استذكارية: قد يسعى إلى إحياء ذكرى أحداث أو شخصيات مهمة في التاريخ الوطني أو الإنساني للحفاظ على الهوية أو استخلاص العبر.

✓ استشرافية: قد يستخدم التاريخ كأداة للتنبؤ بالمستقبل أو استخلاص دروس يمكن تطبيقها على تحديات الحاضر.

ففي بوتقة الأدب، ينصهر التاريخ ليُنتج لنا الرواية التاريخية فذاك السجل المجرد للماضي، سواء تعلق بالأفعال أو الأشخاص، ما إن يلج عالم الرواية حتى يكتسي حلة جديدة يصبح مكوناً فنياً خالصاً، طوع بنان الكاتب الذي يضيف عليه من رؤاه.<sup>2</sup>

كما "أنّ الرواية التاريخية ليست مجرد أحداث تاريخية عابرة، سواء كانت هذه الأحداث قريبة من العهد بنا أم بعيدة، بل إن الرواية التاريخية بالمفهوم المعاصر تعني بعث التاريخ بتصورات الحاضر، والنص الروائي في تفتيشه عن هوية معينة يعقد حواراً بين الأزمنة المختلفة، ويكون شكلاً من كتابة التاريخ، يتضمن الخطاب التاريخي.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2006م، ص 118.

<sup>2</sup> - ينظر: محمود أمين العالم، البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة، دار المستقبل العربي - مصر، د.ط، 1994م، ص 13.

<sup>3</sup> - عدنان علي محمد الشريم، الخطاب السرد في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015، ص 31.

### 3- دوافع تبني التاريخي في الرواية العربية:

اعتمدت الرواية العربية في العصر الحديث على التاريخ، ولجأت إليه لعدة أسباب ودوافع؛ لتحقيق مجموعة من الغايات والأهداف، قد يرتبط بعضها بالروائي المبدع أو القارئ المتلقي.

إنّ "وظيفة الروائي التاريخي الخارجية لا تقتصر على إعادة تسجيل الحقائق التاريخية ونقلها إلى القارئ فهذه مهمة وثائق المؤرخ وسجلاته، وأما وظيفة الروائي التاريخي فتكمن في اختياره من تلك الوثائق والسجلات ما يمثل امتداداً لواقعه وحاضره، وما له صلة بواقعه وقضايا مجتمعه الراهن، بما يعيد ذهن القارئ إلى تلك الصلة التي تشد الرواية التاريخية إلى الحاضر، على الرغم من توغلها في الماضي"<sup>1</sup> استنتاجاً من هذا القول نخلص إلى أنّ الروائي غير مكلف بالتأريخ للأحداث ونقلها على حقيقتها، فهو يسعى إلى استغلال المادة التاريخية المستلهمة من جهود المؤرخين المختصين في تسجيل الحقائق التاريخية لـ :

❖ إحياء الماضي وبعثه من جديد، وبخاصة المجدي منه الذي يمثل بطولة؛ لبث روح الاعتزاز والفخر بالتاريخ الوطني أو القومي.

❖ إسقاط الماضي على الحاضر، بتصوير الحاضر ومناقشة قضاياها من خلال النظر إلى الأحداث والمواقف المشابهة له بالتاريخ.

بتقصّي أعمال الروائيين في القرن التاسع عشر نلاحظ اختلاف أهداف الأعمال الروائية

فـ: "المتبع للإنتاج الروائي في القرن التاسع عشر يلاحظ أنه قد هدف إلى تسليّة القراء وإمتاعهم في ظل رواج الصحف بما تحويه من قصص وروايات مشوقة وقد فرضت طبيعة الحياة الاجتماعية على الكتاب أن يضيفوا على أعمالهم الروائية والقصصية، عناصر التثقيف والتهديب والتعليم، حتى يطمئن القراء إلى جدوى هذه الأعمال، ولتنتفي من أذهانهم الأفكار السلبية تجاهها"<sup>2</sup> ومنه نخلص إلى أن أهداف الرواية في القرن التاسع عشر كانت :

❖ تعليم التاريخ بأسلوب الرواية لترغيب الناس في مطالعته، وكان ذلك في مرحلة النشأة عند جورج زيدان ومن لحق به.

<sup>1</sup> - مريم فريجات، التجليات الملحمية في رواية الأجيال العربية، وزارة الثقافة-الأردن، ط 1، 2005م، ص59.

<sup>2</sup> - إبراهيم السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، دار الرشيد-بغداد، د.ط، 1980م، ص50.

❖ الهروب إلى التاريخ، نتيجة لانتشار حالة اليأس والإحباط وفقدان الأمل التي يعيشها العالم العربي على كافة المستويات السياسية والاجتماعية والحضارية.

ونجد أنّ معظم الأعمال الإبداعية أخذت التاريخ الوطني مادة أولية بنت على أساسها سرودها "وقد اتجهت الرواية نحو التاريخ الوطني أو القومي أو العربي أو الإسلامي؛ لتستلهم الوجه الحضاري للمجتمع أو الأصول التاريخية له، أو الأبطال الثوريين الذين عملوا على تغيير الحياة في ماضي أيامه".<sup>1</sup>

ويمكن تلخيص أهم أهداف كتابة الرواية التاريخية ودوافعها فيما يأتي:

❖ استشراف المستقبل، من خلال النظر إلى أحداث التاريخ، والتفكير في نتائجها وأخذ العبرة منها وتجنب الأخطاء التي وقع فيها السابقون؛ لصنع غد أفضل.

❖ الإبداع الفني، بإعادة صياغة وتقديم التاريخ وشخصياته بطرق فنية جديدة جذابة ومشوقة، تظهر ما لم تظهره كتب التاريخ.

❖ نقد التاريخ، فليس كل ما ورد في التاريخ صحيحاً، فقد يشوب هذا التاريخ بعض التزييف ممن قاموا بكتابته، وقد ظهرت مثل هذه الأفكار في مدرسة الحداثة، التي تدعو إلى هدم الماضي والشك فيه.

يتضح مما سبق الأهمية الكبيرة للرواية التاريخية، فهي لا ترتبط بالزمن الماضي فقط، بل تعبر عن الحاضر والمستقبل أيضاً، وتسهم في وضع رؤية جديدة لمستقبل أفضل من خلال النظر إلى الماضي.

وعليه يمكن الإشارة إلى أن "الرواية التاريخية" العربية اعتمدت على التاريخ لعدة أسباب، أهمها:

- تحقيق مجموعة من الغايات والأهداف: يوحى هذا بأنّ استخدام التاريخ ليس مجرد خلفية للأحداث بل وسيلة لتحقيق مقاصد فكرية أو اجتماعية أو فنية.
- تحقيق مصداقية الرواية أو القارئ المتلقي: يشير إلى أن الاستناد إلى وقائع تاريخية يمنح الرواية نوعاً من الشرعية أو القبول لدى القارئ.

<sup>1</sup> - سيد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار المعارف-مصر، ط 1، 1980م، ص45.

• **التعبير عن الواقع المعيش:** الكل يعلم أن الواقع العربي المعاصر مليء بالضغط والقهر السياسي والاجتماعي والثقافي، حيث يلجأ إلى التاريخ للتعبير عن هذه القضايا بطريقة غير مباشرة أو أكثر عمقاً.

فوظيفة الروائي التاريخي، لا تقتصر على تسجيل الحقائق التاريخية ونقلها إلى القارئ بل تتعدى ذلك لتشمل:

- فهم وثائق الماضي ومؤثرات الحاضر: فالروائي التاريخي يجب أن يكون لديه فهم عميق للوثائق التاريخية، وفي الوقت نفسه يكون واعياً بتأثيرات الحاضر على رؤيته للماضي.
  - إعادة صياغة الماضي: وظيفة الروائي تتضمن إعادة بناء الماضي وتقديمه للقارئ بطريقة تحمل رؤيته الخاصة وصلته بواقع مجتمعه الراهن.
  - ربط الماضي بالحاضر: الهدف النهائي هو تقديم سرد تاريخي له صلة بالحاضر، ويثير تفكير القارئ في العلاقة بين الزمنين.
  - يستقون من الماضي المادة الأساسية لرواياتهم: الأحداث والشخصيات والزمان والمكان التاريخي فهي تشكل جوهر أعمالهم.
  - يقومون بإعادة صياغة وتشكيل الماضي: لا يكتفون بنقل التاريخ كما هو، بل يعيدون تشكيله فنياً.
- 4- علاقة الرواية بالتاريخ :

إنّ ما يجمع بين الكتابة التاريخية والكتابة الروائية لا يعني "أن التاريخ والرواية في مستوى واحد من الخطاب، فهما مختلفتان بالرغم من اشتراكهما في السياق الأيديولوجي والثقافي والاجتماعي وكذلك في التقنيات الفنية والشكلية"<sup>1</sup>.

فكلّ من المؤرخ والروائي ينطلقان من بيئة ثقافية واجتماعية محددة، حتى عندما يحاول المؤرخ تقديم رواية "موضوعية" للأحداث فإن اختياره للمواضيع وتفسيره لها لا يخلو من تأثير هذا السياق.

كما يستخدم الروائي تقنيات سردية وحوارية وتوصيفية لبناء عالمه الروائي، وقد يلجأ المؤرخ أيضاً إلى بعض هذه التقنيات لجعل سرده التاريخي أكثر جاذبية ووضوحاً كلاهما يسعى إلى بناء قصة متماسكة، وإن

<sup>1</sup> - ليندا هتشيون: رواية الرواية التاريخية - تمثيلية الماضي - تر: شكري مجاهد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1993، ص 46.

اختلفت طبيعة هذه القصة وأهدافها، وعلى الرغم من هذه المشتركات إلا أنه يوجد اختلاف أساسي في مستوى الخطاب يكمن في الهدف والمرجعية.

وبفضل قدرات الروائي الخلاقة في استنطاق الماضي وتقديمه في سياق معاصر، لم يعد التاريخ مجرد قطع أثرية صامتة حبيسة الماضي، بل تحوّل إلى قوة فاعلة تحتفظ في جوهرها بجمالها الخالد ودلالاتها العميقة؛ فقد استطاع الروائي أن يحيل معنى الخلود ذاته إلى مسار متجدد، وذلك من خلال الدمج المتقن بين السرد التاريخي والرؤية الروائية، ليمنح بذلك الماضي حياة جديدة ويجعله قادراً على البقاء والتأثير في الحاضر والمستقبل.<sup>1</sup>

إنّها دعوة إلى فهم التاريخ ليس كمجموعة من الحقائق الجامدة، بل كمصدر حيوي للمعنى والجمال يمكن استثماره ببراعة لخدمة الفن والأدب.

لقد ترسّخ التاريخ كعنصر بارز وجوهري يطبع العديد من النصوص الروائية بطابعه المميز، هذا الحضور القوي يمنح هذه الروايات قدرة فائقة على التأثير العميق في المتلقي وإثراء تفاعله مع العمل الأدبي والحديث عن علاقة الرواية بالتاريخ حديث متشعب الجوانب، وذلك لأن الرواية بحكم طبيعتها تعتبر من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على استيعاب واحتواء مختلف النصوص والمعارف الإنسانية، فكل ما يزخر به عالم الحياة من أحداث ومشاعر وتفاعلات اجتماعية، سواء كانت تنتمي إلى الماضي أو الحاضر، يمثل مادة خصبة لفن الكتابة الروائية دون استثناء أو تقييد والتاريخ بكل ما يحمله من معطيات وأحداث وشخصيات يمثل رافداً أساسياً وغذاءً حيويًا للرواية يمدّها بمادة حكاية ثرية لا تنضب مع مرور الزمن.<sup>2</sup>

لقد أسهم هذا التفاعل بين الرواية والتاريخ في تخصيب الجنس الروائي وإعطاء مفهوم جديد ومغاير للتاريخ؛ إذ لم يعد مفهومه متعلقاً بذلك الماضي البعيد، الذي لم يعد له وجود واتصال بالواقع، بل أضحت آلية تقدم رؤى جديدة ومغايرة لهذا الواقع الذي نعيشه اليوم، من خلال تفاعل الرواية معه بوصفه مادة للحكي وطريقة للسرد الحاضر، "فالتاريخ يرفد الرواية بالمادة الحكائية التي يشكلها المبنى، في حين أن العلوم الأخرى لا تمتلك المقومات الحكائية التي يملكها التاريخ ... وما الرواية إلا تابعة متمرّدة عليه"<sup>3</sup>؛ هي "تابعة" لأنها تستمد مادتها الأولية من هذا المخزون الهائل من الأحداث والشخصيات والوقائع التاريخية لكنها

<sup>1</sup> - ينظر: نجوى منصور، الموروث السرد في الرواية الجزائرية (روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج أمودجا)، مقارنة تحليلية تأويلية، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة - الجزائر، 2012م، ص75.

<sup>2</sup> - ينظر: نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، ص 109.

<sup>3</sup> - نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، ص 109.

في الوقت نفسه "متمردة" لأنها لا تخضع له بشكل كامل، بل تعيد صياغته وتفسيره وتقديمه بمنظورها الخاص مضيئة إليه لمسة من الخيال والتأويل الفني الذي يميز العمل الروائي، أو نقول : بأن التاريخ يمتلك صلاحيات أعظم لأنه السرد الأكبر.

لقد ارتكزت الرواية المعاصرة على التاريخ بعمق، فجعلته جزءاً لا يتجزأ من نسيجها الداخلي، بل إنّه أحد أركانها الأساسية التي لا يمكن إغفالها، ورغم اختلاف طبيعة الأحداث والوقائع فإنّ التاريخ والرواية يتفاعلا ويتحدان في كل مرة ليشكلا معاً تجربة إبداعية فريدة من نوعها؛ وبذلك تقدم الرواية المعاصرة لوناً جديداً في عالم الكتابة يسعى إلى تجاوز حدود الزمن وينطلق من الحقائق التاريخية الراسخة ليقدّم لنا قراءة معاصرة نابضة بالحياة، فالرواية المعاصرة بهذا التزاوج الفني لا تكتفي باستعادة الماضي بل تعيد صياغته وتقديمه للقارئ برؤية جديدة، وعليه يمكن القول أن كلاهما يقدم لنا فهماً للعالم والإنسان، ولكن من منظورين مختلفين.

## المبحث الثاني: علاقة الرواية التاريخية بالتراث وطرق استحضارها.

تسلزم عودة الروائي إلى نصوص التاريخ معالم تحدد الحقب والفترات التاريخية المراد صهرها في بوتقة السرد، هذه المعالم تكون شواهد عن حقبة معينة من الزمن وعن سمات مميّزة لكل حضارة وأمة عن غيرها، فالاستدعاء الواعي للتراث في النصوص الروائية هو التجسيد الأمثل للحدث التاريخي والتوصيف الحقيقي له.

### 1- الرواية التاريخية العربية والوعي بالتراث:

إنّ الاتساع والهيمنة التي عرفتها الرواية التاريخية في الساحة الروائية العربية لم تأت من محض الصدفة ولا من قبيل الفجأة، إنّما هو ذلك الموضوع الذي أخذت في معالجته بُعيد إدخالها من قبل الروائيين العرب الذين نهلوا من التاريخ مادته الخام المشبعة بالتراث العربي الأصيل ليصالبوها بمادة سردية روائية واعية بمدى نفاسة ما يحمله التاريخ من تراث لتخرج إبداعات جديدة وقيمة تحمل معنى الماضي وتواكب الحاضر وتمهد برؤية حصرية لما هو آت.

إنّ تجدد حضور التراث في الرواية العربية راجع لكونه ذا حركة مستمرة فهو: " كائن حي متحرك بصيرورة دائمة هي صيرورة الحياة الواقعية التي ينبثق منها ويجيا فيها ومعها، وهي بدورها تحيا فيه ومعها ولكن بشكل آخر ربما كان شكلها الأرقى ....."<sup>1</sup>

ذلك الحضور الدائم للتراث يظهر أنه جزء مهم في الحياة وعنصر أساس فيها، يبرز أنّاً كان الحديث عن الهوية مطروحا فإن جعل منه المبدع هدفا يصبو إليه في أعماله، فهو أداة يعبر بها أيضا.<sup>2</sup>

هذا التعبير عن حيوية وحركية التراث ومكانته الهوية في الحياة إنّما هو الإبراز الأنسب لمفهومه والإظهار الدقيق لمعناه والربط الصحيح لعناصره بنتائج المبدعين خاصة الأعمال الروائية فالرواية تعد البوتقة الجامعة والمستوعبة لتفاعلات مختلف النصوص كما جاء عند سعيد يقطين " أن للرواية فعلا، - بصفتها نوعا سرديا- قدرة خاصة على استيعاب العديد من النصوص سردية كانت أم تقريرية أو شعرية، والرواية العربية منذ بداياتها جسدت احتمال هذه القدرة، وتبين إمكانية حصولها....."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - حسين مروة، دراسات في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت. ص464.

<sup>2</sup> - ينظر: بن صافية عبدالله، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، ص80.

<sup>3</sup> - سعيد يقطين، الرواية والتراث السردية (من أجل وعي جديد بالتراث) المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1، أوت 1992م، ص 117.

فعلى غرار الفنون السردية المعروفة كالقصة والقصة القصيرة والحكاية وغيرها فإن للرواية ميزة ترقى بها إلى صفة الشمولية إن صح التعبير، ليكمل يقطين قوله: "...لكن النصوص الروائية التي ظهرت منذ الستينات أبانت عن قدرة فائقة على احتواء مختلف النصوص قديمها وحديثها وبوعي فني وفكري متميز وكشفت عن إمكانيات هائلة لاحتواء الأنواع المختلفة وتحويلها بهدف إنتاج نص جديد."<sup>1</sup>

وعلى غرار السرود الروائية السابقة فإن السرود التي ظهرت منذ منتصف القرن الماضي أثبتت تلك الإمكانية في احتضان النصوص بكل أنواعها وتوليد أخرى جديدة ذات قيمة إبداعية وفنية وواقعية متناهية في التميز، وهذا راجع إلى أن معالجة الرواية للنصوص التي تحتويها \_ سواء كانت قديمة أم حديثة \_ لا يتم إلا بوعي وإدراك لمعانيها ودلالاتها، فالرواية التاريخية مثلا باستحضارها للنصوص التراثية إنما يكون بالمتح منها على قدر الحاجة والنظر إلى القيمة والأهمية التي تجعل موقعها بين ثنايا النص الروائي معبرا بدقة وحاملا للدلالة المطلوبة، إذن فالرواية هي الصيغة السردية التي يمكن القول أنها منتهى ما وصلت إليه الأشكال السردية، وإن استخدام الروائي لآليات الكتابة الروائية إنما أتمثله صيادا متربصا يرمي بسهامه التي لا تخطئ هدفا فيجمع شتى أنواع الصيد خاصة ما كبر منه ونفع.

لقد سعت الرواية التاريخية في بداياتها إلى الاسترشاد بالمادة التراثية العربية الضاربة في العراقة فاتخذت من الكتابات والسرود العربية القديمة موردا تروي به ضمناً الكتابات الروائية الحديثة والمعاصرة وتأخذ عنه فن الحضور والبقاء والاستمرارية في خضم الحركة الحدائثة الكبيرة، لتكون قصص ألف ليلة وكليلا ودمنة إلى جانب القصص العربي الإسلامي من أهم روافد النصوص التراثية التي اتكأ عليها الروائيون في كتابة نصوصهم السردية، وقد راعى هؤلاء طبيعة تكوين المجتمع العربي الشعبي بطبعه، " فالرواية في مرحلة الإدخال، كان يتوخى منها أن تكون قصة شعبية لتأخذ مكانها محل القصص العربي القديم، ولكن بوجه جديد مختلف، مرتبط بالضرورة بطابع المرحلة التاريخية التي تجتاز الأمة العربية منها وشقاءها"<sup>2</sup>، لتكون النتاجات الروائية الأولى والمستحضرة للتراث التاريخي بالدرجة الأولى والعربي والإسلامي، كل تلك الأعمال الروائية المستدعية للتراث كتبت تماشيا والظروف الاجتماعية الراهنة التي تعيشها الأمة، وكذا إسقاطا للأحداث التاريخية على أحداث الواقع.

<sup>1</sup> - سعيد يقطين، الرواية والتراث السردية (من أجل وعي جديد بالتراث)، ص 117.

<sup>2</sup> - نواف أبو ساري، الرواية التاريخية، جنس أدبي جديد في الأدب العربي الحديث، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها جامعة منتوري، قسنطينة الجزائر، العدد 23، جوان 2005م، ص 130

## 2- حضور التراث في الكتابة الروائية العربية:

إنّ المحطات التي مرّت بها قيام الرواية العربية التاريخية إلى موقع يقودها أن تكون نصّاً مقبداً لأحداث تاريخ وجب حفظه بين ثنايا النصوص السردية الروائية، لتكون نصوصاً مقاومة للمركزية الغربية ذات الرؤى الاستعمارية - المهيمشة للآخر- التي عملت على تزييف تاريخ الأمم وثقافات الشعوب لطمس هويتها وتغييب تراثها، وبذلك تكون الرواية التاريخية المشحونة بكل أنواع التراث جدار صدّ ومقاومة ضد أيّ مساس بالهوية العربية من خلال بعثها للتراث العربي واستيعابها له، ومع هذا فإننا " بحاجة إلى دراسة سوسولوجية وأنتروبولوجية وتاريخية نقدية لواقع حركتنا في التاريخ وبنيتنا الثقافية الاجتماعية المتوارثة...، وأن نعيد إحياء إيجابيات حياتنا الفكرية مع تجديد أو تثوير قواعد تفكيرنا وتنشئتنا وتعليمنا وأن يقترن هذا بإنتاج وجودنا على مستوى حضارة العصر وفي صراع الوجود...للانطلاق ووضع تصور عقلائي نقدي لمسيرتنا الفكرية أو الحضارية صعوداً وهبوطاً لتكون نبراساً لنا لتصحيح الذات، بل الثورة على الذات لكسر القيود التي تعوق حركتنا"<sup>1</sup>، وللعمل على الحفاظ على الهوية العربية وجب الاعتناء بالجوانب الاجتماعية وطبيعة الحياة البشرية العربية في خضم حركة التاريخ التي تحمل تراثنا وبنيتنا الثقافية، فالاعتناء بتلك الجوانب ودراستها دراسة نقدية جادة يعيد إحياء التفكير العربي فيم ترك له من إرث ثقافي لتصحيح مساره وثورته على ذاته أولاً قبل ثورته على الآخر المغيب له والمزدري لفكره وتراثه.

كانت الرواية العربية التاريخية المشبعة بالتراث قد بنيت تلك الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية نظراً لأهميتها في تزويد السرود الروائية وتعريفها بطبيعة العلاقات البشرية في المجتمع العربي التي عاشت في حقب العصور ماضية، وكذا إمدادها بمختلف البنيات المشكّلة للمجتمع وامتزاجها بالأعراق البشرية المختلفة، هذا إن دل على شيء فهو اتساع مناهل الرواية التاريخية وعمق الجذور التراثية لها، اتخذت الرواية من التراث مطية للعودة إلى الماضي وبلورته في قوالب خادمة للراهن المعاش والسير مع ركب التجديد في خضم موجة الحداثة وللتأكيد على أنّ التراث ليس قيدياً أو خروجاً من عنق الزجاجة بل قوة دفع نحو التغيير الحداثي أو التحديثي حسبما يتسق مع المجتمع وتاريخه وتحدياته.<sup>2</sup>

ومن هذا يتضح أنّ دور النصوص السردية يتجاوز مجرد التوظيف الجاف للتراث.

<sup>1</sup> - شوقي جلال ، الفكر العربي وسوسولوجيا الفشل، www.kotobarabia.com ، تاريخ الإنزال : 2025/04/20م، ص12

<sup>2</sup> - ينظر : شوقي جلال، الفكر العربي وسوسولوجيا الفشل ، ص14.

### 3- استدعاء السرود التراثية في النصوص الروائية الحديثة والمعاصرة:

لابد للرؤية التي تنطلق منها دراسة التراث السردى الكامن في السرود العربية الحديثة والمعاصرة أن تنبثق من وعي نقدي ومعرفة بالتراث السردى والنصوص المشكلة له، حتى تتأني له آليات سبر أغواره بدقة وتقديمه بوضوح في الساحة الأدبية والنقدية وعرض أهداف الداعين إلى إعادة قراءته ومشاريعهم.

" إن إعادة قراءة تراثنا الأدبي والفكري، ومعالجة التفكير فيه، بشكل دائم وجديد، من مستلزمات تكوين فكرة دقيقة ومتجددة عنه، وعن أبرز ملامحه وسماته، كما أنه من دواعي تشكيل وعي جديد بذواتنا وهويتنا ومستقبلنا".<sup>1</sup>

من خلال قول سعيد يقطين فإننا نستشف ما دعا إليه من ضرورة إعادة قراءة التراث العربى بأدوات وأسئلة جديدة وبوعي جديد يتناسب وروح العصر، بهدف تطويره والنهوض به، وذلك عن طريق تفعيله تفعيلًا إيجابيًا مع مختلف المستجدات.<sup>2</sup>

فمشروع يقطين الإستيمولوجي قائم على إعادة بعث التراث من خلال نصوص السرود العربية القديمة التي عنيت السرود الحديثة بتوظيفها كنصوص سابقة في النص اللاحق؛ أي الحديث والمعاصر، ف: " قضية التراث عند يقطين بالغة الأهمية كما ذكرنا سابقا في المؤلفات العديدة التي خصصها لمعالجة الموضوع- التراث"<sup>3</sup>

تلك الأهمية التي أولاها يقطين للتراث في جميع مؤلفاته تقريبا، إنما هي دليل على أهمية مشروعه في إعادة تشكيل وعي جديد بالتراث وبالتالي الوعي بالذات والهوية

سعت الرواية التاريخية باستحضارها للتراث وعودتها إلى الماضي والتشرب من موارده إلى خلق وعي داخل المجتمع بالراهن المعاش على ضوء الماضي لبناء رؤية للمستقبل وكذا مواجهة التحديات بعقل واع ومدرك لما يحيط به ف" مواجهة التحديات الداخلية فهما وتحليلا، ثم عزمًا على التغيير، دون تزييف للوعي أو خداع النفس، شرط أول وأساسي لضمان أهلية المجتمع لمواجهة التحديات الخارجية، مواجهتها على

<sup>1</sup> - سعيد يقطين ، الكلام والخير ، مقدمة للسرود العربى، المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء\_المغرب ، ط.1. 1997م. ص15.

<sup>2</sup> - زهيرة بارش ، مقال الوعي بالتراث السردى في الخطاب النقدي عند سعيد يقطين، مقارنة تحليلية في كتاب"الرواية والتراث السردى" جامعة سطيف2 ، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ص300

<sup>3</sup> - بارش زهيرة ، مقال الوعي بالتراث السردى في الخطاب النقدي عند سعيد يقطين، مقارنة تحليلية في كتاب"الرواية والتراث السردى"، ص300.

أساس الفهم لها....وعلى أساس الوعي الذاتي بالدور المنوط بالمجتمع والفرد على السواء حيث إنّ  
المواجهة ليست مسؤولية حاكم ولا شريحة اجتماعية بذاتها<sup>1</sup>

فدعوة المجتمع لمعرفة لتاريخه من خلال طرح عناصر التراث في بطون السرود العربية الحديثة والمعاصرة  
من أنجع الطرق للتعريف بالتاريخ في صيغة غير تقليدية وذلك لبناء استعداد داخل المجتمع لمواجهة التحديات  
الخارجية، فالفرد العارف بحركة تراثه عبر التاريخ يشكل بنية قوية وواعية في تشييد حصن منيع ضد مريدي هدم  
الهويات ونهب الموروثات، فالدراية الواعية بالتاريخ حصن حصين يزود عن الهوية،وعلى هذا فإن المبدعين  
الروائيين لما أخذوا على عاتقهم إعادة إحياء السرود التراثية داخل رواياتهم إنما كان لأهداف سامية أهمها  
الحفاظ على الهوية ونشر المعرفة والتراث من خلال نتاجاتهم ف" استثمار المبدع الروائي لجل طاقات الفنون  
الأدبية الأخرى في حبكة لم تن نصه السردي، ومنها ما هو تاريخي يستلهم أحداث الماضي، الذي تحرص  
الذات المبدعة على تعزيز ملفوظها السردي بالرجوع إليه تارة، وإلى كتب التاريخ ومراجعة تنتقي منها  
موضوعات تؤسس عليها مشهدها الروائي تارة أخرى ومنها أخيرا ما يتعلق بالعقل الجمعي للأمة وتأطيره  
للاذكرة الإبداعية للروائي عبر موروث شعبي"<sup>2</sup>

فقد استلهم السرد الروائي العربي مادته من شتى أشكال التراث الأدبي والتاريخي والتراث الشعبي  
فاستثمر الروائيون التراث الأدبي من خلال استحضار الفنون التراثية العربية في كتاباتهم كفن المقامة والشعر  
وغيرها، وعمدوا إلى إحياء التراث التاريخي باستلهم أحداث الماضي الجارية في حقب التاريخ المختلفة، أما  
استدعائهم للتراث الشعبي فكان بتوظيفهم للغة العامية وبثهم لمختلف العادات والتقاليد الشعبية داخل  
نصوصهم السردية.

لقد عكف العديد من الدارسين على درس إعادة قراءة السرود التراثية المضمنة في السرود الروائية  
الجديدة، فكان لمشروع سعيد يقطين المتمثل في إعادة قراءة التراث، والمجسد في مؤلفاته خاصة كتابه الموسوم  
بالرواية والتراث السردية الذي يحدد من خلاله علاقة النص الروائي بالتراث السردية، إذ يفرد للباحث نماذج  
من التراث السردية باعتبارها نصوصا سابقة قديمة تقبع في ثنايا نصوص لاحقة جديدة، ليكون " قد عالج

<sup>1</sup> - شوقي جلال ، التراث والتاريخ، مؤسسة هنداوي للنشر 2015م، ط1 ص78.

<sup>2</sup> - أحمد يحيى، علاء عبد المنعم، أحمد عبد العظيم، سلطة التراث وبلاغة المتخيل، توظيف التراث في السرد الروائي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة\_ مصر، ط1 ،  
2011م، ص 07.

سعيد يقطين من خلال هذا النوع الجديد، علاقة الرواية كنص جديد بالتراث كنص قديم، وذلك عن طريق استحضاره لأربع روايات تتكى على نصوص سردية قديمة، وهي: الزيني بركات لجمال الغيطاني ليالي ألف ليلة لنجيب محفوظ، نوار اللوز لواسيني الأعرج، وليون الإفريقي لأمين معلوف، أما النصوص السردية القديمة التي تنبني عليها فهي على الترتيب: بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس وألف ليلة وليلة ذات الوقائع العجيبة والقصص المطربة الغربية، تغريبة بني هلال وترحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة، وصف إفريقيا الحسن بن محمد الوزان، حيث تمثل الأولى النصوص (المتعلقة) وتمثل الثانية النصوص (المتعلق بها)<sup>1</sup>

هذا على غرار نصوص كثيرة أخرى جعلت من السرود التراثية القديمة مادتها التي تتكى عليها في بناء نصوصها فالنماذج الأربعة آنفة الذكر حتى وإن لم يكن انتماؤها إلى الجنس السردى نفسه فكلها حامل لمعنى التراث ويمكن بذلك توظيفه في نصوص جديدة تتواءم والعصر الراهن.

#### 4- أنواع وخصائص التراث الموظفة في الرواية العربية :

##### أولاً: الأنواع :

- التراث الشعبي: تعد تجليات الموروث الشعبي في الرواية المعاصرة استلهاما لشيء متأصل في واقعنا مفعم بالرمزية والغيبيات متجسد في كل حركات وسكنات المجتمع من عادات وتقاليد وكلمات وأناشيد وأغاني وأهازيج...

فالتراث الشعبي: "سجل أمين للخصائص والمواصفات البيئية التي أنتجت على هذا يكون الاهتمام بالتراث الشعبي ليس مجرد نزوة عابرة أو تقليد أعمى، كما أنه ليس للتسلية كما يحلو للبعض أن يصفه بل هو الاهتمام بعلم متكامل مبني على أسس علمية وواقع اجتماعي ملموس من الإيمان بأن التراث هو صانع للتاريخ وهو الذي وضع الأسس الحضارية للمجتمع الذي يعيش فيه".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - زهير بارش، مقال الوعي بالتراث السردى في الخطاب النقدي عند سعيد يقطين، مقاربة تحليلية في كتاب "الرواية والتراث السردى" جامعة سطيف2، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ص301.

<sup>2</sup> - المرزوقي: محمد: الأدب العربي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 18.

الموروث الشعبي للأمة بلورة لخبرات المجتمع أيا كان العرق المكون له إذ أنه طرح لمكونات الفرد داخل المجتمع بطرق وأساليب متعددة تجسدت في عادات وتقاليد تميز من مجتمع لآخر، إذا يمكن القول أنه أهم أنواع التراث وأوفرها مادة، وقد كانت تجليات الموروث الشعبي في إبداع خيري شلبي من أهم النماذج التي تظهر استقاء النصوص الحديثة للموروث الشعبي فمن أعماله السنيورة، الأوباش، بغلة العرش، زهرة الحشخاش وغيرها كثير.

- التراث الأسطوري: فالاشتغال على التراث الاسطوري في الروايات الحديثة والمعاصرة يجعل من النصوص أكثر التحاما بالوعي الشعبي المنغمس في عالم الغيبيات والملابسات والأوهام ف: "عند التطرق للتراث الأسطوري نجد أنه من أكثر الأنواع استخداماً في النص الروائي، فتحتل الأسطورة مقاما هاما في كثير من العلوم الإنسانية المعاصرة، يرى بعض علماء الأنثروبولوجيا أن لفظ الأسطورة تعبير ديني اجتماعي، وكل ما عدا ذلك مثل القصص التي تُروى عن أرباب اليونان وما شابه ذلك فإنهم هي لون من الحكايات الشعبية لا أساطير".<sup>1</sup> تضفي الأسطورة على النص ساحرة وعمقا، فالتراث الأسطوري المفعم بالغرابة يث في عقل المتلقي شيئا من الجمالية التي تعطي النص شكلا جديدا في نظر المتلقي له، ورؤية غير معتادة للنصوص غير المستحضرة لهذا الضرب من التراث، لتكون رواية لحس العتب عملا مشبعا ب: " تلك الروح الشعبية التي يستدعيها شلبي بتجلياتها المتعددة وروافدها الثرية في عمله الروائي... ليقدّم لنا نصا يمكن التعامل معه بوصفه وريثا شرعيا لسير علي الزبيق المصري، وبنو هلال، والوزير سالم، وعنترة بن شداد، والملك سيف بن ذي يزن، والأميرة ذات الهمة، والسلطان الظاهر بيبرس، والأمير حمزة البهلوان، وغيرها من السير الشعبية..."<sup>2</sup>

- التراث التاريخي: إنّ الهدف من استلهم الموروث التاريخي هو محاولة إثارة بعض الصور والأفكار والمعاناة في ذهن القارئ أو المتلقي بما يقرب بها المعاني التي تريدها، كما أن التاريخ لا يُكتب مرة واحدة فقط، "إنّ كل فئة تتبعه بطريقتها وتفسر أحداثه بما في ذلك الحكمة ومصالحها، وتعدد فئات المجتمع والأحزاب السياسية

<sup>1</sup> - وتار محمد رياض: توظيف التراث في الرواية العربية، ص 107.

<sup>2</sup> - أحمد يحيى، وآخرون، سلطة التراث وبلاغة التخيل، توظيف التراث في السرد الروائي المعاصر (الأسطورة والسخرية في رواية لحس العتب لخيرى شلبي)، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط1، 2011م، ص248.

والمادية الدينية؛ وهكذا فإنّ التاريخ يحدث مرة واحدة ولكنه يصنع أكثر من مرة وقد شاهدت الساحة الثقافية العربية بداية من منتصف القرن الماضي محاولات لإعادة ملحة مساءلة الماضي".<sup>1</sup>

مساءلة الماضي في السرود العربية الحديثة ليست بالمسألة الهينة إنما هو بعث لأحداث كتبت مرارا وأعيدت كتابتها أو صياغتها، يحول ذلك دون وصولها إلى المقتني لمادتها قصد توظيفها في إبداعه بتلك الدقة والحقيقة والموضوعية، إذ لا تخل الكتابة التاريخية من الأدلجة وأن التاريخ يكتب غالبا بقلم منتصر، لنجد أن الرواية العربية متحت من التراث التاريخي فكان لها نماذج كثيرة أبرزها أعمال جرجي زيدان لما أخذ قصص التاريخ الإسلامي فوطنها نصوصه وأسكنها رواياته، ونجد رواية علي الجارم المتعلقة بتوظيف تاريخ الأندلس والموسومة بشاعر الملك.

- التراث الديني : يمكن تعريفه بأنه ثقافة دينية ترثها عن السابق، وهي لغة القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية، والتراث الديني هو توظيف لنص ديني بنصوص قرآنية وتراثية وفلسفية، بالإضافة إلى توظيف حديث شريف وفكر ديني، ووظف في الرواية العربية المعاصرة على مستويات عديدة، كتوظيف البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية وتصوير شخصية البطل في ضوئها، وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية بالإضافة إلى التنوع في ادخال النص الديني على النص الروائي.<sup>2</sup>

يعد التراث الديني أكثر أنواع التراث حساسية في التوظيف، نظرا لهالة القداسة المحيطة به، وكذلك لسمو الدين عن التزييف والتحريف عند جميع الأمم والحضارات، فيجب أن تتوفر في توظيفه كموروث ثقافي بين ثنايا النصوص معرفة واسعة بالدين ودقة في بناء النص استنادا إليه حتى لا تحيد النصوص الدينية المقدسة (قرآن / حديث) عن المعنى والهدف الذي نزلت من أجله، ليتجسد لنا ذلك من خلال روايات جرجي زيدان خاصة رواية عذراء قريش المتعلقة بواقعة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وواقعتي الجمل وصفين وقد توسل زيدان في بناء معمار نصه الروائي التراث الديني بشكل واضح مايزيده تجليا اسم العمل (عذراء قريش).

<sup>1</sup>-زايد علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط. 1998، ص 12.

<sup>2</sup>- زايد علي عشري استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 139.

التراث الأدبي: "إن الرواية تتسم بتوسعها الشديد في استدعاء النص الشعري وتوظيفه بما يسهم في مضاعفة الاستشعار بالحضور الدائم والتجلي لهذا النمط من النصوص المستدعاة؛ فالمتلقي يلقي نفسه على الدوام في مواجهة عدد كبير من الأبيات الشعرية التي تزخر بها فصول الرواية كافة"<sup>1</sup>

على غرار باقي أنواع التراث تسعى النصوص الروائية إلى استدعاء التراث الأدبي، فيتبدى لنا ردها له من شتى المصادر الأدبية شعرا ونثرا ومقامة وحتى المعاجم التراثية كانت موردا مهما أخذت منه النصوص الروائية ما عالجت به متونها، إذ نلني عدة نماذج من النصوص العربية الحاضرة للتراث الأدبي كما جاء في كتاب سلطة التراث وبلاغة المتخيل (توظيف التراث في السرد الروائي المعاصر) لما أخذ شكل توظيف النص الشعري التراثي في رواية بني حمدان لعلي الجارم، وكذا توظيف شكل المقامة التراثية في رواية مقامات عربية لمحمد ناجي وتوظيف شكل المعجم التراثي لسان العرب في رواية حديث الصباح والمساء لنجيب محفوظ.

#### ثانيا : خصائص التراث الموظف في الرواية الجزائرية:

لكل شيء خصائص وميزات تبرز مكانته وقيمه في منظومة الحياة التي نعيشها وتفرق بينه وبين باقي العناصر الحياتية، وللتراث خصائص جمّة من أهمها :

- التجدد والحركة الدائمة" إن مما يميز التراث هو تجدد حضوره وحركته الدائمة وانتقاله المستمر من الماضي نحو الحاضر والمستقبل".<sup>2</sup>

- يمتاز مفهوم التراث بانطوائه على جميع المراحل التاريخية التي مرّت بها الحضارة الإنسانية، ابتداءً من أوّل اجتماع إنساني عرفته الحضارة، واستيعابه لنتائج مختلف الحضارات.<sup>3\*</sup>

- مجهول المؤلف في أغلبه وما الإبداعات الفردية والجماعية على اختلافها وتنوعها إلا مساهمة واحدة موحدة للأجيال الإنسانية عبر تراسل الأزمنة والعصور، دون نسبتها إلى فرد بعينه<sup>4\*</sup>، ولعلّ القاعدة العامة هي أنّ كل

<sup>1</sup> - أحمد عثمان، الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا، دار المعارف، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت، ط2، ص286.

<sup>2</sup> - بن صفيّة عبد الله، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، ص80.

<sup>3</sup> - ينظر : وطفاء حمادي هاشم التراث وأثره وتوظيفه في مسرح توفيق الحكيم المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 1998: ص 08.

\* بمعنى أن تراث الحضارات كالبابلية والسومرية والآشورية والفرعونية والإغريقية، والفنيقية ليس وفقا على شعب هذه الحضارة.

<sup>4</sup> - ينظر: مُجد غنيمي هلال : الأدب المقارن، دار العودة - بيروت، د.ط : 1980: ص 106.

\* بمعنى أن قصص ألف ليلة وليلة وقصص "الجان" و "الأميرة والأقزام السبعة" و"علي بابا الأربعون لصا" وغيرها لم تنسب قط إلى مؤلف بعينه، وهذا ماجعلها تنظم إلى المنظومة التراثية الشعبية.

ما هو معلوم مؤلفه لا يدخل في التراث ..<sup>1</sup>، ولعل مجهولية المؤلف أهم خاصية يمتاز بها التراث ..، ورغم ذلك فهو محفوظ في ذاكرتنا فكّما مرّت علينا مواقف في الحياة وجدها مرتبطة بمواقف في تراثنا.

- ينتقل عبر الأجيال «بالرواية والحفظ» متغيّر لا ينال التغيير من أصوله، بل من تتابع الشكل الفنّي والمحتوى المضموني متلائما مع متغيرات الحياة معتمداً على أصول ثابتة في فنونه المختلفة التي تنحصر في دوائر ثلاث: (الأمثال والأغاني والسير الشعبية)<sup>2</sup>، ومن ثمّ تجد الإضافات طريقها عبر الحقب الزمنية فتترك كل حقبة ميزتها وطابعها، وصبغتها\* فتطفو معاناة الأفراد وآسيهم في صراعهم الطبيعي والأزلي الذي لا مفرّ من خوضه وتعتلي منابر السير، والملاحم، والأساطير، والحكايات، والطقوس، إنّه الصراع الحاد الذي كانت الطبقات الشعبية تحياه بين الواقع والخيال أو بين الحقيقة والحلم<sup>3</sup>، ليصبح التراث بديلا خياليا للواقع<sup>4</sup>.

إن ما يختص به التراث من ميزات قد أهلته ليكون موضع اهتمام الدارسين والروائيين والنقاد، نظرا لأهميته في بناء هوية الأمة ووصل ماضيها بحاضرها وامتداد أثره في المستقبل بإعطاء رؤية وتجسيد منظور متكامل الأبعاد متين الأوتاد.

## 5- التراث في الرواية الجزائرية:

تتوسل الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة كل ضروب التراث فنصوصها الروائية متخمة بالعناصر التراثية "حيث نجد التراث في ثلاث أبعاد أساسية: الأول يتعلق بحرب التحرير، والثاني بالتراث العربي الإسلامي، والثالث بالتراث السردى العربي"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر : بلحيا الطاهر التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبين، الجاحظية سلسلة الإبداع الأدبي - الجزائر، د.ط 2000 ص 11.

<sup>2</sup> - ينظر : حلمي بدير : أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر، ط1، 2003م : ص 19.

\* مثلا خلال ثورة الجزائر (1954-1962) يلاحظ بأن المداح في حلقاته قد ساهم في تغيير بعض عناصر السيرة الشعبية التي كان يرويها عن الأبطال والشجعان وذلك وفقا لطبيعة الجمهور المتلقي الذي أصبح يستحسن التطوير وإعادة والمواقف الملائمة لأجواء الثورة والبطولات التي كان يعيشها الشعب؛ أي كل تغير يحدث في ذلك العصر فإنه يؤثر في ذلك التراث.

<sup>3</sup> - عبد الحليم بوشراكي: التراث الشعبي والمسرح في الجزائر (مسرحية الأوجاد لعلولة - أمودجا)، مذكرة ممتة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص أدب حديث، جامعة باتنة، 1433/1432هـ، ص 14.

<sup>4</sup> - ينظر : بلحيا الطاهر : التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، ص 12.

<sup>5</sup> - مخلوف عامر، حضور التراث في الرواية الجزائرية، مجلة السرديات، العدد 01، قسنطينة - الجزائر، 2004م، ص 217.

من الملاحظ في قول مخلوف أن البعد التراثي المتعلق بحرب التحرير جاء أولاً إذ إن الرواية الجزائرية تميزت بنزوعها إلى موضوع ثورة التحرير ولم تعدل عن باقي المواضيع التي اشتغلت عليها الرواية العربية عامة غير أنها أولت الثورة اهتماماً بالغاً طغى على فحوى نصوصها الروائية التاريخية، "فمن الطبيعي أن يحافظ كل شعب على هويته وأصالته وتفردته وكل ما يميزه عن باقي الشعوب الأخرى مهما بلغت درجة مواكبته لروح العصر والحداثة مما جعل الأمم تسعى جاهدة إلى إحياء أمجادها الماضية من خلال نشر أخبار أبطالها بهدف تذكير الجيل الصاعد وزيادة تعلقه بأصالته وثوابته المقدسة وهو ما يظهره دور التراث الحضاري لأمة ما، ولذلك استحضرت الكثير من الأعمال الروائية الجزائرية الثورة التحريرية المسلحة في متونها...مثل (اللاز) للطاهر وطار، ( ذاكرة الجسد) لأحلام مستغاني، (دماء ودموع) لعبد المالك مرتاض...".<sup>1</sup>

إنّ التطور والعصرنة الحاصلة في حياة الشعوب لم تمنعها من التمسك بعادات الأجداد وتقاليدهم فذلك المجتمع المدافع عن وطنه لم يكن هدفه المحافظة على حياته جافة إنما هو دفاع عن هويته التي تثبت وجوده وتميزه بين المجتمعات، ولا يحصل ذلك إلا بإحياء ثقافة السلف التي دأب المستعمر على طمس معالمها ليستثمر الروائيون الجزائريون العادات والتقاليد والأحداث والسرود وكل ما يدخل في دائرة التراث ليوظف في أعمالهم الإبداعية قصد تعزيز ثقافة المجتمع ودعم الهوية الوطنية والتنمية الفكرية، لم تتوقف تلك الأعمال والنتاجات على استحضار التراث الجزائري والعربي والإسلامي فحسب بل وسعت حيز أخذها من المادة التراثية الأجنبية خاصة في مضامين النصوص المتعلقة بثورة التحرير، إن للعديد من الأجناب دور كبير في حرب التحرير فمنهم من عاش في الجزائر قادماً من بلده يحمل عادات وتقاليد شعبه، ومنهم من أبداع في الوقوف على التراث الجزائري وتعلق به فحافظ عليه إما بقصد أو من غير قصد من خلال توثيقه في أعماله فعلى سبيل المثال كان المستشرق والرسام نصر الدين دينيه قد رسم الكثير من اللوحات التي توثق حياة الجزائريين في أماكن وظروف وحقب معينة من الزمن، متحت الأقلام الروائية الجزائرية من الأعمال الأجنبية ومن حياة أصحابها لتضفي على النصوص ثراءً وجمالية، ومن النصوص ما أخذ متعلقات حياة أولئك الأجناب كاملة كونها ذات صلة وطيدة وعميقة بتاريخ الجزائر "ومن ثمة فإن توظيف التاريخ في النص الروائي لا يجعل منه

<sup>1</sup> -خديجة نواري، توظيف التراث في روايات عبد المالك مرتاض(قراءة في ثلاثية الجزائر وثنائية الجحيم)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أدرار، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2016-2017، ص37.

تأريخاً لمرحلة ما من تاريخ الإنسان ولا يمكن اعتماده وثيقة تاريخية يستند عليها المؤرخ وإنما هو كشف للواقع وإدانة له من خلال إدانة التاريخ".<sup>1</sup>

صارت الرواية الجزائرية ملمة بكل صنوف التراث منه ما كان في حقب زمنية قديمة ومنه ما هو قريب العهد بهذا العصر، فأحداث الثورة ليست بالبعيدة فكانت مادة تاريخية مستهدفة من أهل الأقلام السيالة خاصة الروائيين، جمعت الرواية من التراث التاريخي ما قربت به بين الماضي والحاضر لتخرج نصوصاً مميزة نذكر منها: ثلاثية عبد المالك مرتاض (الملحمة، الطوفان، الخلاص) التي استلهمت ووظفت التراث التاريخي، أما ما جمعته من الموروث الشعبي فقد كان كما هائلاً وذلك راجع لارتباط الجزائري بعاداته وتقاليدته وعليه استغل الروائيون التراث الشعبي خدمة لنصوصهم، فكتب الطاهر وطار رواية اللاز إذ تبرز نزعة النص الشعبية في عنوان الرواية، وكتب عبد الحميد بن هدوقة ربح الجنوب والجزاية والدرابيش التي تعج بمختلف العادات والتقاليد والطقوس الشعبية، وكتب واسيني الأعرج مركزاً على التراث الشعبي والتراث العربي الإسلامي روايته فاجعة الليلة السابعة بعد الألف مركزاً فيها على " بعض الرموز التراثية والوطنية كشخصية عبد الرحمان الجدوي وقد يستخدم رموزاً ليست واقعية، وإنما توهننا بأنها كذلك وهذا لشعبيتها...".<sup>2</sup>

توظيف التراث الشعبي لن يخل من توظيف الأسطورة بالموازاة فالكثير من الأمور الشعبية نزاعة لما هو أسطوري وقد نلمس حضور الأسطورة بصورة واضحة في رواية الحوات والقصر لوطار إذ يعن لنا التشابه بينها وبين حكاية (الصيد والعفريت) في ألف ليلة وليلة سواء في الرموز الفنية والبيئية الحكائية... فالكاتب لا يكرر الأسطورة أو ينقلها فحسب بل يبدع فيها أساطير جديدة.<sup>3</sup>

تزدحم الأعمال الروائية المتوسلة للأسطورة بالخيال والسحرية مثل رواية الجزاية والدرابيش ل : بن هدوقة، الجزاية ذلك الاسم المستوحى من قصة بني هلال التي سادتها الأساطير والخرافات، ومن الظواهر المتميزة في الرواية الجزائرية توسلها بالتراث الأدبي والتراث الديني على غرار ما ذكرنا من أنواع " يحضر التراث الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة في شكل إديولوجية حيث نجد الكاتب يتبع هذه الطريقة في معالجة

<sup>1</sup> - خديجة نواري، توظيف التراث في روايات عبد المالك مرتاض (قراءة في ثلاثية الجزائر وثنائية الجحيم)، ص 41.

<sup>2</sup> - صالح مفقودة، المرأة الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة الجزائر، ط1، 2003م، ص346.

<sup>3</sup> - ينظر: خديجة نواري، توظيف التراث في روايات عبد المالك مرتاض (قراءة في ثلاثية الجزائر وثنائية الجحيم)، ص42.

قضايا سياسية كما يظهر في كتابات الطاهر وطار(الحوات والقصر) مثل (قربة التصوف) (العدد سبعة) ومظاهر أخرى...<sup>1</sup>

يزيد توظيف التراث الديني الرواية الجزائرية عمقا ودلالة فمتلقيها يرى بشكل واضح أثر ذلك التوظيف على النص وعلى المتلقي من سهولة استيعاب وعمق فهم لما يصبو إليه الكاتب ليدخل ذلك فيما يعرف بقصدية المؤلف وإدراك القارئ.

إنّ توظيف التراث في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة إنّما يسعى إلى تجديد الرؤية للواقع الاجتماعي ولل فرد بانفتاح خطاب الروائي على التراث الإنساني المدافع عن القومية الوطنية والهوية بشكل عام، فالرواية المتلبسة بالتراث يمكن اعتبارها تجسيدا ثلاثي الأبعاد للتاريخ قصد إخضاعه لخدمة الراهن إذ إنّها تمثيل للحدث التاريخي وتوصيف دقيق له وتخيله بما يناسبه بلا تنكّر له فالفقصد إحياءه لا دحضه.

#### 6- التناص وتقنيات الاستحضار :

إنّ الكاتب مهما بلغ من الحذق والذوق، لن يبدع نصّا من فراغ، إنّما نسج النص هو تداخل خيوط نصية بعضها ببعض - سألقة الغزل والتحصيل - حد الامتزاج حال اللحمة والسدى لنتج ذلك الثوب المفصل في شكله الأمثل، هذا الثوب أو النص المبني من تلاحم عدة نصوص منتقاة تسللت إلى ذهن الكاتب فتراكم مرور الزمن، ليبدلي بها في إبداعاته إما بوعي منه أو بغير وعي، فيرتبها بين ثنايا كتاباته حسب ما تقتضيه الحاجة وما يضطره إليه الموضوع المقصود، إنّما أشرنا إلى تقديمه هو ظاهرة التناص التي تفتن لها النقاد والباحثون حديثا وإن كانت قديمة الوجود ف : " لقد اتفق على اعتبار أن مصطلح التناص قد ظهر للمرة الأولى على يد الباحثة جوليا كريستيفا في عدة أبحاث كتبت لها ما بين 1966م و1967م، وصدرت في مجلتي **critique tel quel** وأعيد نشرها في كتابيها **le texte de roman**، **simiotique** وفي مقدمة كتاب **ديستوفسكي لباختين**"<sup>2</sup>، إن النص إنّ بدا إبداعا جديدا وغير مسبوق الوجود فهو كذلك عيانا، أما إن طرح للدراسة والتحليل سنلغي أنه تراكم مرتب بغير اعتبارية بنصوص أخرى قد امتصها العقل القارئ ليعالجها حسب عدة اعتبارات خاصة به، فمنها ما نما وازدهر ومنها ما ضعف وضمّر، لتأتي الحاجة إلى كليهما - ما نما، ما ضمّر - في وقت ما ليكون لبنة في تشييد نص جديد وهكذا دواليك إلى غير منتهى

<sup>1</sup>- حوار محمد بن عبد الكريم، الطاهر وطار، أنا من بقايا رومنسية جبران، مجلة بيان الثقافة، العدد 81، جويلية 2001م، ص05.

<sup>2</sup> - ترفنان تودوروف وآخرون، الخطاب النقدي الجديد، تر : أحمد المدني، عيون المقالات، المغرب، ط2، 1999م، ص 101.

لفهم معنى مصطلح التناس وحب معرفة ما طراً على الأدب ولغة النصوص والآليات التي تعنى ببنائها، وكذا معرفة الظواهر المختلفة البارزة في النصوص، ومعالجة التناس كظاهرة ومنه فإن: "مفهوم جديد في الدراسة الأدبية الحديثة، وهو نتاج التطور الحاصل في اللسانيات وفي العلوم الأدبية الجديدة، جاء هذا المفهوم ليجسد ظاهرة نصية ويبرزها في الوعي النقدي لكن ممارسة التناس أو التجلي النصي سنجد قديماً قدم النص كيفما كان حسه أو صورة إبداعه"<sup>1</sup>، باعتبار التناس قانوناً إلزامياً خضعت وتخضع له كل النصوص الأدبية، فقد شرع في العقل بالفطرة دون سيطرة الكاتب لينفذ في الواقع بالكتابة، للخروج بنص جديد حدوده نصوص قديمة كانت حبيسة ذهن قارئ.

بما أنّ كلّ ما يتطلّب الاستمرار أن يدفع بمحركين، محرك البذل والعطاء ومحرك الأخذ، وهذا ما ينطبق على النصوص الأدبية إذ استمرارها مرهون بمدى جلبها لنصوص أخرى حتى تنتهي إلى نص يكون موضع أخذ هو الآخر إما من صاحبه وإما من متلق له، فالتناس لا ينقص من قيمة النتاج الإبداعي هو زيادة في توسيع المعرفة وفتح الأفق أمام المتلقي ف: "لا شيء أدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من ان يتغذى بآراء الآخرين، فما الليث إلا عدة خراف مهضومة"<sup>2</sup>، فإظهار شخصية الكاتب في نصه لا تعن إخراج نتاج ذاتي بعيد عن التعالق بنصوص أخرى، إذ لا بد من موضوعية في النص من وجود أجزاء من نصوص سابقة تتأتى بطرائق مختلفة شاء الكاتب أم ألي، هذا فيم يتعلق بالأعمال الإبداعية وبإسقاطه على البحوث والمقاربات فالاستناد إلى الدراسات السابقة في بناء مواضيع مذكرات التخرج إنما هو سعي إلى التأميل لها والرفع من قيمتها، في النظرية النقدية الحديثة التي تعنى بسبر أغوار النصوص الأدبية على اختلاف أجناسها، بتطبيق آليات مدروسة ومنتقاة للكشف عن الظواهر المتجلية في تلك النصوص، وأبرزها ظاهرة التناس التي تعارف النقاد على أنه لا مناص لنص أدبي من التناس هذا سيرا على خطى رولان بارت الذي اعتبر التناس قدر كل نص مهما كان نوعه وجنسه، إن تقديمنا في ورقتنا البحثية لتعريفات التناس عند النقاد الغربيين أمثال باخطين كريستيفا، وبارت لا يثبت أسبقية معرفتهم بالتناس كظاهرة ولا ينفي بلورته للتناس كمصطلح، فقد عرف التناس عند العرب منذ القدم في الأدب عامة وفي الشعر بصفة خاصة، إلا أنه لم يعرف بالتناس وقد ارتبط عندهم بالسرققات الشعرية وكان لهم آراء في ذلك فقد ذهب ابن رشيق إلى أن: "اتكال الشاعر على السرقة

<sup>1</sup> - سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة النصر، ط1، 2006م، ص65.

<sup>2</sup> - عبد الحميد همة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل، قراءة في الشعر العربي المعاصر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط، 2008م، ص149.

بلادة وعجز وتركه كل معنى سبق إليه جهل ولكن المختر عندي أوساط الحالات"<sup>1</sup>، ويرى ابن الأثير أن: "ذلك من أحسن السرقات"<sup>2</sup>، وله في هذا قول مخالف تماما، وفيه يرى أن السرقة الشعرية من أفبح السرقات لتبقى مسألة السرقات بين استهجان وقبول، لنجد ما يمكن أن يصفها أنها ظاهرة حتمية على الشاعر في قول عنتره بن شداد :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم.<sup>3</sup>

يلمح عنتره في مطلع معلقته إلى أنّ كل القصائد التي اعتمدت المقدمة الطللية ما هي إلا نحل من معين الشعراء الأقدمين الذين سبقوا شعراء عصره في ذلك، فاختلاف وتعدد رؤى النقاد المحدثين حول مسألة السرقات وربطها بظاهرة التناس جعلت فئة من النقاد يذهبون إلى أن في التراث القديم ما يحمل مفهوم التناس أمثال عبد الله الغدامي الذي رأى أن التناسية: " نظرة جديدة نصح بها ما كان الأقدمون يسمونه بالسرقات أو وقع الحاضر على الحاضر بلغة معظمهم وما ذاك إلا حركة الإثارة المقتبسة ما جلبته معها من سياقاتها"<sup>4</sup>، وهذا رأي عبد المالك مرتاض إذ يقول: "إن التناسية كما يبرهن على ذلك اشتقاق المصطلح نفسه هي تبادل التأثير والعلاقات بين نص أدبي ما ونصوص أدبية أخرى وهذه الفكرة كان الفكر النقدي العربي عرفها معرفة معمقة تحت شكل السرقات الشعرية"<sup>5</sup>، نلمح في قول مرتاض تأكيده على أن النقد العربي عرف مفهوم التناس قديما في صورة ما يسمى بالسرقات الشعرية.

يتبلور النص الأدبي من خلال حضور التناس في أشكاله المتنوعة، فالنص الغائب أو تلك النصوص المتسربة إلى عقل الكاتب / القارئ ليفرزها في كتاباته لاحقا إما بعمد أو من غير عمد، ويرى صبري حافظ أن التناس يظهر من خلال إزاحة نص بآخر ليحل محله أو الترسيب الذي عرف كظاهرة عند القدماء فهم: " يشترطون على المبدع نسيان ما امتلأ به من نصوص غيره فليس لذلك معنى غير تخزين وطمس معالم

<sup>1</sup> - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 5ط، 1981، ج2، ص 280.

<sup>2</sup> - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المطبعة العصرية، بيروت - لبنان، د.ط، 1990م، ج2، ص 386.

<sup>3</sup> - ديوان عنتره، تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق - سوريا، 2ط، 1983، ص 137.

<sup>4</sup> - عبد الله الغدامي، الخطبة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ط4، 1998م، ص 58.

<sup>5</sup> - عبد المالك مرتاض، فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناس، مجلة علامات، العدد: 1، ماي 1991م، ص 91.

النص السابق حتى لا تبرز بشكل كبير في النص اللاحق"<sup>1</sup>، هذه الأشكال التي يظهر من خلالها التناص لا يمكن اعتبارها عناصر محققة للتناص بعيدا عن السياق فهي تكتسب معناها منه وفيه، فالنص عبارة عن توليد سياق ينشأ من عملية الاقتباس الدائمة من المستودع اللغوي...<sup>2</sup>، ليصل إلى المتلقي الذي يعد عنصرا مهما يتجلى من خلاله التناص على اعتبار أن القراءة هي إعادة كتابة للنص لا مجرد استهلاك سلمي له...<sup>3</sup>، يمكن طرح مظاهر التناص مما سبق على أنها : النص الغائب، الإحلال والإزاحة، الترسيب، السياق، المتلقي.

أفادت الناقدة الفرنسية جوليا كريستيفا من دروس أستاذها الروحي باختين المتعلقة بالنص الذي اعتبره كرنفاليا يحوي في طياته اللغة والدين والعلوم وكل ما يجعله فسيفسائيا مثلما اعتبرته كريستيفا، لتبلور مصطلح التناص على خلفية تلك الكرنفالية الفسيفسائية للنص.

تستوجب دراسة النص دقة في الفحص، وتنقيا عميقا في كيانه باعتباره تراكما لنصوص سابقة وأخرى مجاورة من شتى الاتجاهات الثقافية والاجتماعية والأدبية وغيرها، ففسيفسائية النص تجبر السابر لأغواره على تفعيل كل الأدوات والآليات الممكنة، إذ إن في النص أنواعا من التناصات يمكن الإمام بها من خلال تحليله وطرح مكوناته، لنجد تناسبا داخليا وتناسبا خارجيا، ومباشرا وغير مباشر وعفوي وقصدي وغيرها من الأنواع، فالتناص الداخلي فيه يتناص الكاتب مع نصوص له كتبها سابقا على عكس التناص الخارجي الذي يتناص فيه الكاتب مع نصوص غيره.

**الشكلي والمضموني :** الشكل والمضمون عنصران متلازمان فالشكل يعتبر الإطار الظاهر والمضمون ما كان مبطنا داخل النص "ولكننا نعلم جميعا أنه لا مضمون خارج الشكل بل إن الشكل هو المتحكم في التناص والموجه إليه، وهو هادي المتلقي لتحديد النوع الأدبي ولإدراك التناص وفهم العمل الأدبي تبعا لذلك"<sup>4</sup>، فالتناص الشكلي يظهر في تأثر نص بآخر في تقسيم الفصول والمشاهد مثلا إذا كان نصا مسرحيا أما التناص المضموني فيظهر من خلال التقاء عمليين أدبيين مختلفين في تيمة أدبية معينة، وفي التناص المباشر

<sup>1</sup> - سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط1، 1992 من ص 14.

<sup>2</sup> - ينظر : جمال مباركين التناص وجماليته بالشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثقافي، الجزائر، د.ط، ص 149.

<sup>3</sup> - ينظر : جمال مباركين التناص وجماليته بالشعر الجزائري المعاصر، ص 152.

<sup>4</sup> - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، (التناص في الشكل والمضمون)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط3، يوليو 1992م، ص 130.

الذي يمكن وصفه بأنه اقتباس واضح للنصوص ليكون التلميح صفة التناص غير المباشر وهذان النوعان من التناص متعلقان بمدى تأثر النصوص الحاضرة بنصوص سابقة.

- التناص بالتآلف والتناص بالتخالف : يظهر هذا الشكل من خلال التقارب والتباعد في الفكرة المبني عليها كلا النصين السابق المتناص منه واللاحق المتناص، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"<sup>1</sup>؛ وإن أخذنا للحديث ظاهراً وإسقاطه على موضوع التآلف والتخالف في التناص يحيل إلى أن ما تعارف من النصوص فكرة وسيافاً فقد تآلف تناصاً وما تناكر وتعاض من النصوص فكرة تخالف مع النص المتناص معه وإن ساوqه.

يتجلى من خلال البحث في أنواع التناص وملاستنا لعدّة أنواع فيه أنّ : التناص حصره وضبطه واستخراج حضوره في النصوص بشكل سلس وسهل، إنّما تمييز القارئ ( المتلقي ) وقدرته ( المعرفية ) تحيله إلى ضبط مواطن التناص والكشف عن نوعه.

<sup>1</sup> - مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، مج : 4، دط، دت، ص 2031.

# الفصل الثاني:

التراث في رواية "إيزابيل"  
والانفتاح على ثقافة الآخر.

## المبحث الأول : التجليات التراثية في رواية إيزابيل.

يعدّ توظيف التراث من الظواهر المميزة في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة والتراث التاريخي على وجه الخصوص، والذي يعنى باسترجاع كل ما يخص الهوية لينبثق داخل النص الروائي فيضعه غالبا في خانة التاريخي من الاتجاهات الروائية العربية والجزائرية.

### 1- التراث التاريخي في رواية إيزابيل :

يتجلى التراث التاريخي في رواية إيزابيل لصاحبها سليم بتقة ويبرز فيها بكل أبعاده، أحداثا وشخصيات وأزمنة وأمكنة، فأما الأحداث التاريخية التي اختيرت من طرف الروائي واستحضرها ل : "يقدر المسافات ويشكل الألوان ويصور الأماكن والحالات ويركب الحوادث، ويبني المشاهد ويتعمق في الأمزجة ويفسر المواقف، ويصوغ ردود الفعل وينزل إلى حيث تحفظات المجتمع في مكان وزمان معينين"<sup>1</sup>، وقد استفاد الروائي في نص إيزابيل من الأحداث التاريخية فوظف أحداث عدة معارك للجزائريين ضد المستعمر الفرنسي منها معركة "الزعاطشة ومليلي"<sup>2</sup>، معركة الزعاطشة التي اندلعت بقيادة الشيخ بوزيان في ضواحي بسكرة بواحة الزعاطشة وهذا ما يحيلنا إلى المكان والحدث التاريخيين في الآن نفسه وقد ذاع صيتها باعتبارها أول معركة ضد المستعمر بعد نهاية مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، وكان إلى جانبها المعركة التي وقعت أحداثها بمنطقة مليلي بضواحي بسكرة كذلك، إلى جانب الحدثين السابقين فقد دأب الروائي على جلب أحداث لمعارك أخرى كلها وقعت في الجنوب الجزائري انطلاقا من الجنوب الشرقي بسكرة والوادي مرورا ببوسعادة والأغواط ليذكر أحداث "انتفاضة أولاد سيدي الشيخ"<sup>3</sup> وصولا إلى عين الصفراء وبشار ليتطرق إلى أحداث معركة "المنقار"<sup>4</sup> بمنطقة تاغيت، ويعرج على أحداث معركة "كولومب بشار"<sup>5</sup> كل هذه المعارك التي كبدت الاستعمار هزائم وخسائر فادحة وعملت على الحد من اتساع رقعة الاستعمار إلى الجنوب الجزائري استغل الكاتب مجرياتها لبني على أساسه سيرورة سرد الروائي، عمد الكاتب الرجوع إلى هذه الأحداث متسلسلة ومتوازية مع حركة إيزابيل الرحلية داخل النص على طول خط عرض من الجنوب الشرقي الجزائري إلى

<sup>1</sup> - سيار الجميل، الفن الروائي التاريخي العربي، مجلة البيان، العدد:2، مج: 2، 1999م، ص39.

<sup>2</sup> - سليم بتقة، رواية إيزابيل، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، ط1، 1446هـ - 2024م، ص 140.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 164.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 221.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 223.

الجنوب الغربي ليربط كل حدث مع حياة إيزابيل وما عايشته داخل المجتمع في تلك الفترة وهذا ما يعطي المتلقي صورة عن تاريخه وتراثه من خلال جلب أحداث لمعارك وإقحام شخصية إيزابيل وباقي شخصيات الرواية في ثناياها متوسلا في سرده الروائي المادة التاريخية الموشاة بالتراث.

من خلال ما ذكرناه نجد أن الكاتب قد عرف كيفية توظيف الحدث التاريخي بطريقة متسلسلة ولغة سلسة وأسلوب دقيق مع سير سرده الروائي، فجعل لكل حادث حديثا، فذكر كل معركة بأحداثها في الموضوع المناسب داخل النص ليعرف المتلقي بالمسافة الزمنية بين الأحداث انطلاقا من المسافة بين الأمكنة باستغلاله للزمن الحقيقي للأحداث التاريخية ليبنى على أساسه الزمن الروائي لنصه باتخاذ شخصية إيزابيل دليلا يقتفي المتلقي أثره للسير داخل النص الروائي، إن استحضر الكاتب للأحداث آنفة الذكر قد تأتي من منطلق التعريف بالتاريخ الثوري الجزائري في الجنوب المقاوم للاحتلال الفرنسي وأيضا للحفاظ على الهوية من الاندثار إن توظيف الأحداث التاريخية في الرواية لا يمكن أن يكتمل أو يعبر عن أفكار وتوجهات الكاتب إلا باستدعاء الشخصيات الفاعلة في خضم هذه الأحداث، وقد ذكر الروائي الكثير من الشخصيات التراثية والتاريخية من أبرزها شخصية "إيزابيل"<sup>1</sup> فهي تاريخية بحتة تراثية صرفة وشخصية "الشيخ بوعمامة"<sup>2</sup> أحد قادة المقاومات الشعبية الجزائرية ضد الاستعمار، و"الكاردينال لافيغري"<sup>3</sup> رجل الدين والمبشر الفرنسي، وكذا ذكر شخصيتي "شيخ الزاوية القادرية"<sup>4</sup> و"الشيخ سيدي براهيم شيخ زاوية القنادسة"<sup>5</sup> وقد تحدث الكاتب عن هذه الشخصيات استنادا إلى معرفة مسبقه بها كون معظمها محلية معروفة في أوساط المجتمع منها ما هو معيَّب في التاريخ غير معروف أو مألوف فباستحضار أسمائها من طرف الكاتب إنما يرجع بذلك المتلقي إلى سيرها الذاتية ليطالع على فاعليتها في تاريخنا وبصمتها في حاضرنا والاستفادة من تجربتها في مستقبلنا، بما أنّ الزمن الذي يرجع إليه الروائي هو الزمن الماضي في استحضر الأحداث والشخصيات التراثية فلا بد للزمن أن يقتزن بالمكان لإعطاء صورة كاملة الأبعاد سواء كانت صورة الحدث التاريخي الحقيقي الذي يأخذ منه الروائي مادته أو إعطاء صورة كاملة البناء عن الحدث الذي قام بهيكلته داخل نصّه إذ "يعتبر المكان عنصرا تلازميا في تشكيل البنية السردية، وطرفا أساسيا في المعادلة الاكتمالية لمقتضيات النص، فهو في السرد العمود

<sup>1</sup> - سليم بركة، المصدر السابق، ص 10.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 246.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 102.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 172.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 246.

الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض، والخلفية التي قد تشكل الرؤيا التي قام لأجلها المنجز الابداعي"<sup>1</sup>، وقد اختار صاحب نص إيزابيل الأمكنة التي سعى إلى تأثيث فضائها اعتمادا على المادة التاريخية المفعمة بالتراث فنلفي الكثير من الأماكن التراثية المعبرة عن الماضي ولا تزال حاضرة بأسمائها في حاضرنا ومنها ما تغير اسمه وبقي اسمه ورسمه المعبرين عن أصالتها وتراثيتها مثل الأماكن المسماة باللغة الأجنبية ومثال ذلك أسماء الفنادق كـ " فندق ترانس أتلنتيك "<sup>2</sup> و " فندق بالاص "<sup>3</sup> ببسكرة وأسماء الساحات والحدائق مثل " ساحة الطبيب رو "<sup>4</sup> و " حديقة لاندور "<sup>5</sup> والمقاهي مثل : " طونطوفيل "<sup>6</sup> و " قصر كوردان "<sup>7</sup> و " مستشفى مستشفى لافيجري "<sup>8</sup>، فهذه الأماكن والمحلات منها ما بقي حاملا اسمه إلى أيامنا هذه ومنه ماتم تغييره غير أنّ أنّ دلالة التراثية لا تزال محفوظة وماهيته التاريخية ماتزال مرهونة بالكتب وبين العامة في القصص المروية حولها فهي محفوظة في الذاكرة الشعبية قبل أن تحفظ بالتدوين، ومن الأماكن التي اشتغل عليها الروائي واستغلها لخدمة نص رواية إيزابيل لتعطي حدودا للمنطقة الجغرافية التي دارت في حيزها أحداث الرواية هي الولايات والمقاطعات الجزائرية فنلاحظ ذكر الكاتب لعدة ولايات كبسكرة وبوسعادة والجلفة وعين الصفراء وبشار وورقلة وتقرت ووادي سوف وبليدة ووهران وعنابة التي ذكرت باسمها التاريخي القديم وهو بونة الذي يحيل القارئ إلى زمن الحضارة الفينيقية استغله الكاتب كدليل على الأصالة والعراقة والتراثية، إضافة إلى استحضار الروائي لأسماء الولايات فقد اتخذ لأماكن تراثية أخرى مواقع بين ثنايا نصه ليعبر عن الأحداث التي جرت فيها عن طريق السرد فمنها ما قام بوصفه بإسهاب وبدقة اشتغالا منه على تقنية التبويب المرتبطة بالوصف والحوار خلال السرد ومثال ذلك وصف قرية القنطرة "توقفنا عند محطة صغيرة وهي محطة جميلة في قرية ساحرة، لا تزال بها آثار الربيع واضحة على أشجار النخيل والحشائش الخضراء المحيطة بها، محاطة بالدفلة...واحة ضائعة بين تلال ذهبية ترتفع في صف مزوج كأنها صنعة يد بشرية انضم إلينا عربي برفقة فتاة صغيرة شاحبة شعرها أشقر، مربوط في كعكة منخفضة...سألت مرافقنا الجديد عن القرية فعرفت أنها القنطرة"<sup>9</sup>

<sup>1</sup> - عبد الله بن صفيّة، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، ص 87.

<sup>2</sup> - سليم بندق، رواية إيزابيل، ص 55.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 75.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 61.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 76.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 67.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 166.

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص 77.

<sup>9</sup> - المصدر نفسه، ص 95.

وكذلك وصفه لشوارع العاصمة تلك الشوارع التراثية العتيقة حين قال : " منذ أن خطوت شوارع العاصمة أول مرة، كنت أتخيلها مدينة أسطورية شرقية ساحرة، شيئاً ما مثل حلب والقسطنطينية وبغداد... غير أبي وجدتها مدينة أوروبية بامتياز تذكرني بباريس، وبمارسيليا، ونيس... مقاهي، مطاعم، وشوارع واسعة وعمارات من أربعة طوابق... هناك أوروبيون يجلسون على كراسي يجتسون البيرة، وهناك سيدات وفتيات جميلات وبعض الجنود..."<sup>1</sup>، فنلني في هذا القول أسماء مدن عربية تراثية مثل حلب وبغداد وأخرى غير عربية كالقسطنطينية الاسم القديم لمدينة اسطنبول التركية، لنلاحظ من هذا أن الكاتب يسعى لإطلاع القارئ على نظرة الآخر الأجنبي للجزائر في تلك الحقبة من الزمن وهي نظرة الغربي للشرق الساحر غير أنه وجدها مختلفة عن تصوره حين رأى أنها شبيهة بمدن أوروبية، بهذا يطلع الكاتب القارئ في عمله الإبداعي على الهندسة الغالبة على الأماكن التراثية المستدعاة التي جعل منها موطناً للشخصيات الفاعلة في نتاجه الروائي في أزمنة معينة، إذ يستحيل تحييد المكان من النص فهو مرتبط بالزمن وبالتالي فعلاقتها إزامية تكاملية مع حضور الشخصيات داخل ذلك النسج بين الزمن والمكان كاللحمة والسدا ف: " فرضية انتفاء المكان من العمل السردي تستدعي بالضرورة انتفاء الزمن منه أيضاً، وذلك أنّ الزمن لن يجد دون المكان ما ينسج عليه علائقه، وما يؤثر فيه من ذوات فاعلة في النص هي جميعاً على علاقة حميمية بالمكان"<sup>2</sup> يتعلق المكان المكان بالتجارب الاجتماعية والانسانية التي وقعت داخله وقد ذكر الروائي في رواية إيزابيل عدة أماكن تذهب بعقل المتلقي إلى حقب زمنية معينة فباستحضار اسم ذلك المكان يستحضر تراث وتاريخ أمة بأكملها في استطراد ذهني من القارئ بوعي منه أو بغير وعي، كذكره " بونة"<sup>3</sup> أو " برج بابل"<sup>4</sup> فاستدعاء برج بابل يأخذ بالمتلقي إلى حضارة بلاد ما بين النهرين وبونة تعطي صورة عن الحضارة الفينيقية في الجزائر.

ومن الأماكن التراثية "أحياء القصبة والجامع الكبير"<sup>5</sup> و "ميناء الجزائر"<sup>6</sup> و " فندق الصحراء"<sup>7</sup> و"حي المسيد"<sup>8</sup> هذه الأماكن التراثية المتعلقة بالتاريخ الجزائري التي وظفها الروائي إما معرّجاً على أسمائها فقط

<sup>1</sup> - سليم بركة، المصدر السابق، ص 67.

<sup>2</sup> - عبد الله بن صافية، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، ص 87.

<sup>3</sup> - سليم بركة، المصدر السابق، ص 25.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 23.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 65.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 59.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 12.

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص 40.

فقط وإما متّخذاً منها أمكنة رئيسية تنصهر داخلها الشخصيات والأحداث في حبكة محكمة وناظمة تدور في فلكها المادة التاريخية المستلهمة لتعطي نصاً متماسكاً بأبعاده متكاملًا بأركانه، غير أن الأماكن المعرّج عليها أيضاً لا تخلو من الدلالة التراثية حين استحضارها ولا يُعدم دورها في تأثيث النص وهيكلته وبنائه الفنيّ على حد قول أحمد طالب : " كان توظيف المكان في الابداع القصصي من الوسائل الفنيّة ذات الأعماق البعيدة، لما يحمله من ملامح ذاتية وسمات جمالية وعواطف إنسانية وتجارب اجتماعية تجعل العمل متكاملًا فنيًا " <sup>1</sup>.

إنّ المكان ليس ذلك الحيز الهندسي المرتبط بحدوده المادية الملموسة فحسب، كقولنا : بسكرة أو عنابة أو المقهى أو الفندق - أمكنة -، إنما يتعدى مفهوم المكان ذلك المنظور السطحي ليكون تجسيداً أكثر عمقا وأخص دلالة، فالدلالة التراثية للأماكن المذكورة آنفا تخرج عن كونها وعاء حاملا لأحداث معينة وشخصيات محددة بين جدرانها وحدوده لتؤثث في عقل المتلقي رؤية معينة يفهم من خلالها استحضار الكاتب لذلك المكان أو اسم مكان محدد

إنّ مصادفتنا لكل تلك الاستحضارات التاريخية التي جاء بها سليم بندق في روايته إيزابيل يعطي صورة عن مدى اطلاعه على التاريخ الإنساني العالمي والمحلي وقدرته على تهيئة نصه الروائي لاستيعاب كل تلك الأحداث والشخصيات والأماكن التاريخية وإبراز دلالتها التراثية وهذا إنما ينم عن قدرة الكاتب على استثمار المادة التاريخية المحملة بالعناصر التراثية وتوظيفها لخدمة النص الروائي لتحقيق أهداف معينة أهمها الحفاظ على الهوية والتعريف بتاريخ الأمة وتمجيد أبطالها وملاءمة الفراغ التاريخي الحاصل والمسكوت عنه أو المهمش في الكتب التاريخية المؤرخة لأحداث جافة يسألها الروائي فيضفي عليها تلك الحركة والديناميكية بتقنيات فنية وآليات سردية تحيي أحداثها وتبعثها من أحداثها.

## 2- الصبغة التراثية الشعبية وتلونها لرواية إيزابيل :

لجأت الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة - باعتبارها بوتقة جامعة لمختلف الأشكال الأدبية - إلى التراث فاستلهمت منه وأخذت عنه كلّ فن خاصة ما كان شعبياً ليتقمص نص الرواية ويتماهى مع النصوص

<sup>1</sup> - أحمد طالب الإبراهيمي، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار الغرب، وهران - الجزائر، ط1، 2005م، ص 11.

## الفصل الثاني:..... التراث في رواية إيزابيل والانفتاح على ثقافة الآخر.

والمظاهر الشعبية ويتلَوّن بها على اختلافها وهذا ما عهدناه في الروايات العربية ككل والجزائرية على وجه الخصوص .

إذا اعتبرنا تعريفا للتراث الشعبي أنه " تراكم خلال الأزمنة من التقاليد والعادات والتجارب والخبرات وعلوم وفنون شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والحُلقي..."<sup>1</sup>، فقد اتخذ الروائي سندا للانطلاق في استحضار عناصر التراث الشعبية في نصه.

ففي نص رواية إيزابيل انصهر التراث الشعبي المستجلب من البيئة الشعبية الجزائرية وخاصة بيئة الجنوب مع نص الرواية ليشكل نمطا خاصا من السرد يختلف عن النصوص الجزائرية المستلهمة للتراث الشعبي وإن كان اختلافا طفيفا إلا أن له تأثيرا في المتلقي ولفت انتباهه باعتبار الحيز الزمكاني المنتقى لبناء النص ذا نمط مختلف اجتماعيا وثقافيا عن ذلك الذي نهل منه الروائيون الجزائريون مادتهم التراثية، فنزوع سليم بتقة إلى الاغتراف من كل ما هو شعبي صحراوي إنما هو ما فرضته البيئة التي دارت في محيطها أحداث الرواية، فيظهر للمتلقي كل عناصر التراث الشعبي لتحمله على السعي للوصول إلى دلالاتها داخل النص فاستدعاؤها من طرف الروائي ليس بالأمر السطحي فكل عنصر من العناصر التراثية الشعبية يحيل إلى دلالة خفية تلزم وعي المتلقي والدارس على البحث المعمق لبلوغ معناها انطلاقا من مبنائها ومحل حضورها داخل نص رواية إيزابيل ضمن الروائي نصه إيزابيل الكثير من العناصر الشعبية التي جسدت الحياة الاجتماعية في المناطق التي كانت فيها مجريات الرواية تلك الحياة التي تميزت بوجود تقاليد عريقة نجحت في عبور الأجيال والأزمنة تمثلت في اللباس الشعبي والصناعات التقليدية وحضور الطقوس والمعتقدات ومختلف العادات والتقاليد، وقد تجلّى حضور تلك المظاهر التراثية انطلاقا من :

### • اللباس الشعبي :

فاللباس هو المظهر الخارجي الدال على هوية الفرد والمعرف له ولانتمائه فلم يغفل الروائي عن وصفه حين قال : " غالبا كانت ترتدي ثياب الرجال... كانت في ذلك اليوم نفسه ترتدي بالفعل ثيابا عربية، سروالا طويلا وسترة وطربوشا"<sup>2</sup>، وهذا لباس عربي رجالي شائع في تلك الحقبة يلبسه أهل الحضر من العرب ومن أنواع اللباس التي وظفها الكاتب الزي البدوي " استبدلت قميصي، ببنوس أبيض وعمامة وسروال

<sup>1</sup> - عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1، 1986م، ص 63.

<sup>2</sup> - سليم بتقة، رواية إيزابيل، ص 18.

أبيض طويل، وحذاء طويل من جلد الضياء"<sup>1</sup>، وهو قطم من الألبسة المعروفة في الجزائر " وهو نموذج لباس متوارث عرفت به شخصيات تاريخية كان لها دور كبير في كتابة تاريخ الجزائر كالأمر عبد القادر والشيخ بوعمامة مثلا كما يعطي لمرتديه جمالا وتألقا وهيبه"<sup>2</sup>، وقد وصف صاحب النص لباس الفرسان التراثي فقال في مقطع من الرواية : " وكان يرتدي لباس الفارس، مع سترة وسروال طويل أبيضين ونعال بنية طويلة من جلد تحمي قدميه العاريتين من حرق الرمال، وعلى رأسه عمامة بيضاء"<sup>3</sup>، وعرف بلباس الحراس في قوله : " اقترب منا رجل يرتدي قندورة وعمامة بيضاء ويقف للحراسة"<sup>4</sup>، ليكون اللباس التراثي حاضرا في النص الروائي بكلّ دلالاته حضور باقي المفردات التراثية الشعبية.

#### ● الأمثال والتعبيرات الشعبية :

تلك العبارات ذات الدلالة العميقة التي تزداد في الأوساط الشعبية وتقال في مواضيع محددة بعفوية وبلاغة يتداولها الناس لتصبح قولاً متعارفاً عليه في بيئة معينة، "فالمثل الشعبي يعتبر صفوة الأقوال، وعصارة الأفكار لأجيال سبقتنا عبر التاريخ الانساني، وهو زبدة الكلام الصادر عن البلغاء الحكماء أجمع المتحدثون على صوابه للاستشهاد به في مواقف الجدل ومختلف ضروب الكلام"<sup>5</sup> لم تخل رواية إيزابيل من الأمثال الشعبية فقد استند الكاتب إليها عدّة مرّات معبّراً بها عن دلالات معيّنة فذكر المثل القائل : "بارد مثل سكة حديد"<sup>6</sup>، وهو مثل شائع يقال في الشيء أو الشخص شديد البرودة، واستحضر المثل القائل "وشمن ريح جابتك لبنا" حين أورد قوله : "أية ريح صيفية عصفت بكم عندنا"<sup>7</sup>، مثل معروف بين العامة يقال للشخص طويل الغياب إذا حضر، وأورد الكاتب عبارة : "لقد أكلت معه الخبز والملح"<sup>8</sup>، تقال كناية عن معايشة شخص لقوم ما فيأكل طعامهم وفي ذلك إشارة أنه أصبح واحداً منهم له ما لهم وعليه ما عليهم وللخبز والملح دلالة العشرة والوفاء لها فيقال فيمن أكرم من قوم ثمّ خانهم "خائن الملح والطعام أو خائن

<sup>1</sup> - سليم بنّقة، المصدر السابق، ص 61.

<sup>2</sup> - زهية طرشي، تشكيل التراث في أعمال مجّد مفلّاح، ص 125.

<sup>3</sup> - سليم بنّقة، المصدر السابق، ص 125.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 171.

<sup>5</sup> - راجح خلوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 05.

<sup>6</sup> - سليم بنّقة، المصدر السابق، ص 09.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 87.

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص 186.

العشرة"، بالرغم من النزر اليسير للأمثال الشعبية الواردة في نص الرواية إلا أنها بارزة للقارئ مظهرة واحدا من أهم عناصر التراث الشعبي التي يستدعيها الروائيون في نصوصهم.

### • المهن والحرف الشعبية :

جمعت رواية إيزابيل بين ثناياها تسويات لحرف ومهن شائعة في فترة من فترات التاريخ وفي مناطق معيّنة من الجزائر، حاملة السمات التراثية باعتبار امتهاها ضاربا في التاريخ والعراقة منها ما آل إلى الزوال ومنها ما يزاوله الناس ليومنا هذا إذ إنّها عناصر تراثية عابرة للأجيال والأزمان فنجد من بينها " عمل خذير على عربية مكشوفة، مهنة ورثها عن والده "1، وكذا " إصلاح الحوافر والعجلات "2، ارتبطت هاتان المهنتان بوسائل النقل القديمة ومنها ما ارتبط بالتجارة والأسواق مثل : " عطار الحّي "3 و " الباعة المتجولون "4 ونجد " البرّاح "5؛ المهنة التي آلت إلى الاندثار آخذة معها عقب التراث الذي كان معهودا في الأسواق والحارات الشعبية، وقد ذكر الروائي مهنة "القابلة"6 التي كانت في الماضي امرأة أو عجوزا تساعد النسوة في الولادة وتقوم بأعمال طبيّة شعبية تخصّ النساء غالبا، لنجد نص الرواية قد استدعى مهنة " المرشد السياحي "7 و " المترجم "8 و " السمسار "9 هذه الأعمال التي امتنها أفراد المجتمع في ذلك الزمن دلالة على الانفتاح الانفتاح بسبب ما كان يفد على تلك المناطق السياحية من أجناس من مختلف البلدان الأجنبية، وقد أتى الكاتب على ذكر مهنة " ماسحي الأحذية "10، التي تعتبر مهنة مخزية كان معظم من عمل فيها من الأطفال إذ تعدّ في ذلك الزمن حلا محتما لكسب القوت وهذا المظهر التراثي المستدعى هدفه إظهار المستوى المعيشي للمجتمع في فترة زمنية معينة، مظاهر العمل من المهن والحرف التراثية التي ذكرها سليم بتقة في روايته ليعطي صورة عن طرق الكسب في المجتمع الجزائري القابع تحت وطأة الاستعمار، تظهر الصور التي رسمها الكاتب

1- سليم بتقة، المصدر السابق ، ص 23

2- المصدر نفسه، ص 23.

3- المصدر نفسه، ص 53.

4- المصدر نفسه، ص 144

5- المصدر نفسه، ص 94

6- المصدر نفسه، ص 56

7- المصدر نفسه، ص 94

8- المصدر نفسه، ص 156

9- المصدر نفسه، ص 181

10- المصدر نفسه، ص 85.

لشرائح المجتمع الجزائري باستدعائه لمختلف المهن والحرف التراثية بعضا من الطبقات المهمشة في المجتمع والمسكوت عنها تاريخيا و أوجب الالتفات إليها.

### • الأسماء والألفاظ الشعبية :

إن عودة الروائي سليم بتقة إلى التراث الشعبي ليعطي نصه لونا تراثيا قد حمله على استدعاء أسماء تراثية شعبية وكذا إعماله لبعض الألفاظ الشعبية أو النعوت والصفات فنجد أسماء قد شاع إطلاقها على الأشخاص في الماضي ومنها ما هو باق إلى أيامنا فوظف اسم "سي محمود" <sup>1</sup> و " سليمان" <sup>2</sup>

و " خذير" <sup>3</sup> وأحمد " أحمد رشيد" <sup>4</sup> و " سي مُحَمَّد خوجة" <sup>5</sup> وعلي " علي عبد الوهاب" <sup>6</sup> و " العطوي" <sup>7</sup> و "الشيخ عبد الرحمان" <sup>8</sup> و " سي عيسى" <sup>9</sup> وذكر " مُحَمَّد بن علي" <sup>10</sup> ، هذا الاسم الذي حمله جد العطوي وسمى به ابنه تيمنًا بجده وهذا ما يعطي نظرة على أنه في تلك الفترة لا يزال المجتمع الجزائري يستخدم الأسماء الثلاثية بعيدا عن الألقاب التي وسمته الإدارة الفرنسية به بعد إصدار قانون الحالة المدنية وقانون الألقاب الساعي إلى تفكيك العائلات وبترو أصولها وبالتالي طمس الهوية التي عمل الكاتب في نص إيزابيل على إحيائها واستدعى الكاتب اسم "يوسف سعيد" <sup>11</sup> وكتب في النص بتسكين السين في سعيد لينطق بالعامية، هذا إلى جانب ما أتى به من الأسماء التراثية التي سميت بها النسوة مثل : اسم " بركاهم" <sup>12</sup> ، الذي أعطى صورة عن أسماء توشّحت بها النساء قديما ليتبادر إلى ذهن القارئ الكثير من الاسماء التراثية حين قراءته لاسم بركاهم كاسم العارم، الطاوس، العلجة وغيرها، وكذلك اسم " فاطمة الزهراء" <sup>13</sup> الذي يحيل إلى اسم فاطمة بنت

<sup>1</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق ، ص 09

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 09

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 23.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 52

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 52

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 52

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 80

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص 89

<sup>9</sup> - المصدر نفسه، ص 207

<sup>10</sup> - المصدر نفسه، ص 54

<sup>11</sup> - المصدر نفسه، ص 94

<sup>12</sup> - المصدر نفسه، ص 53

<sup>13</sup> - المصدر نفسه، ص 96

النبي ﷺ، وقد دأب الجزائريون على غرار باقي العرب على منحه لبناتهم وتعظيمها وتحليدا وتيمنا به وهذا كله لا يخرج عن دائرة الحفاظ على التراث والهوية التي أخذها الكاتب والروائي سليم بتقة على عاتقه.

ومن الألفاظ الشعبية تلك النعوت والصفات التي ألزقت بالأفراد داخل المجتمع فنلفي كلمة (سي) اختصارا لـ (سيدي) في استحضار الكاتب لاسم "سي محمود" <sup>1</sup> و "سي عيسى" <sup>2</sup> وإطلاق كلمة (الشيخ) (الشيخ) على كبار السن ولأئمة المساجد والزوايا ك: "الشيخ عبد الرحمان" <sup>3</sup> و "الشيخ سيدي ابراهيم" <sup>4</sup> إمام زاوية القنادسة، وأورد الكاتب لفظ "الرومي" <sup>5</sup> هذا اللفظ الذي أطلقه الأجداد على كل أجنبي من غير العرب والذي يُعزى إلى الروم أو الرومان.

#### ● المظاهر والطقوس والمعتقدات الشعبية :

تعدّ المظاهر والطقوس الشعبية حلقة في سلسلة العناصر التراثية الشعبية، يشغل الروائيون عليها باستدعائها في نصوصهم الإبداعية وهذا ما قام به سليم بتقة إذ كان لحضورها في نصه إيزابيل ملمحا خاصا جسّد من خلاله الحياة الاجتماعية والدينية ونمط المعيشة السائد في تلك الحقبة الزمنية وفي تلك المناطق، وتعتبر هذه المظاهر والطقوس من العناصر التراثية المنتشرة بكثرة في الأعمال الإبداعية الجزائرية إذ تضم "الممارسات الشعبية والطقوسية كما يضم الفولكلور والمنولوجيا العربية ويضم أيضا الأدب الشعبي..." <sup>6</sup>، وقد احتلت مكانة هامة في رواية سليم بتقة فنجد منها وصفا لمظاهر العيش داخل المجتمع الجزائري التقليدي في أحد مقاطع الرواية قال : "عاد خذير مساء ككل مرة، غيرّ ملابسه وتوضأ، صلى العصر، ثم دخل غرفة والدته بركاهم. كانت تجلس على حصير، تسند ظهرها إلى وسادة ويدها المسبحة.. الغرفة بها فتحات وقد ملئت ضوءا باهرا.. سلّم عليها، ثم قبّل رأسها وجلس القرفصاء أمامها لشرب قهوة المساء، قصت عليه كيف كانت ترشّ الملح على الأرض في وسط الدار، وفجأة توقفت ولم تستطع الاستمرار بسبب آلام الروماتيزم.. أخرج من جيبه ورقة نقود وناولها إياها..

1 - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 09

2 - المصدر نفسه، ص 207

3 - المصدر نفسه، ص 89

4 - المصدر نفسه، ص 246

5 - المصدر نفسه، ص 131

6 - زهية طرشي، تشكيل التراث في أعمال مجّد مفلح، ص 116.

- اشترى بها دواء من عطار الحي<sup>1</sup>.. "1، على غرار ما وجدنا من عادات معيشية في هذا المقطع يعنّ لنا طقس كانت تقوم به بركاهم يجسد معتقدا آمن به الأجداد وهو رشّ الملح في الدار وفي الساحات والعتبات لإبعاد العين والحسد والأرواح الشريرة، وفي مقطع آخر جسد مناسبة ليلة (السبوع) والفرح بمولود جديد في العائلة وسيورة الحياة الشعبية في مثل هذه المناسبات الاجتماعية قال الكاتب: " تربّعت وأخذت منها المولود، وراحت تدلّك جسده، وتضع قطرات في أذنيه من زجاجتها الصغيرة...مدّت الأمّ يدها إلى الصندوق... لا يجروّ أحد على استباحة حرمة وحده خذير من كان ينقضّ عليه مثل حدأة حينما كان صغيرا يجتلس ما وقعت عليه يده، ثم يفِرّ هاربا مسرعا قبل أن تلحقه الجنّ حارسه الصندوق كما أشيع. أخرجت منه قطعة قماش أهدته للمولدة. في غفلة الأخوات والعمات اللواتي كنّ يطبخن ويعبقن الدار بالدخان كان الأطفال يلعبون ويتشقلبون، العراك البغيض بينهم احتدم وسط الدار، خرجت الحاجة تلهث وراءهم تعرج بسبب الروماتيزم وقد ترحلق مندبل رأسها عن شعرها وهي تجري وراءهم..."<sup>2</sup> خلال هذا المقطع يظهر لنا معتقد شعبي آخر كان ولا يزال متداولاً وهو الجنّ الحارسة لكلّ ماهو ثمين أو خاص كصندوق بركاهم الذي ورثته عن زوجها (الحاج)، ومن المظاهر الشعبية المعهودة في المجتمع الجزائري دعاء الأم على من يغضبها والسبّ والشتيم بكلمات تكون مسجوعة ومترابطة تترك في الأذن نغمة وصدى تدعوا إلى التلذذ أكثر من دعوتها إلى الامتناع، هذا ما استدعاه الكاتب على لسان الأم بركاهم حين قالت: " كلاب..أحرقهم الله كما أحرقوا أعصابك.." <sup>3</sup> وهذا ما كان يعلمه خذير فهو "يدرك أنه حين تغضب أمه تشتم، فتأتي الشتائم غير المحتملة على فمها تلقائيا كما لو كانت مصابة (بمتلازمة توريت)\*"<sup>4</sup>.

ومن العادات تسمية الأبناء بأسماء أجدادهم وهذا ما يتجلى في الرواية حين قال العطوي لوالدته: "أسميته مُجّدا على اسم جدّي مُجّد بن علي"<sup>5</sup>، وفي قول الرجل في منطقة القنطرة أنه سمى ابنته (فاطمة الزهراء) على اسم والدته أي جدتها " أسميتها على اسم والدي رحمها الله "<sup>6</sup>، وقد وطنّ سليم بتقة مقطعا يتبدّى من خلاله الطبائع السائدة في المجتمع الشعبي الجزائري والتي يميز بها المجتمع العربي عموما حيث تقول

<sup>1</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 53

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 57

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 56

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 93

\* متلازمة توريت هي عبارة عن خلل عصبي وراثي يظهر منذ الطفولة المبكرة، تظهر أعراضه على شكل حركات عصبية لا إرادية متلازمة يصحبها متلازمات صوتية متكررة.

<sup>5</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 54.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 96

إيزابيل : " لقد أكلت معهم الخبز والملح، وامتنطيت خيولهم إنهم يعرفون جيدا بفضولهم الأوروبي أن سي محمود امرأة، ولكن مع التحفظ العربي الجميل، قالوا أن هذا لا يعينهم وأنه من غير اللائق التلميح بذلك، واستمروا في معاملتي كما كان الحال في أوائل الأيام كصديقة"<sup>1</sup>، يلمح من خلاله طبع العربي في التحفظ والكتمان وعدم تدخله في حياة غيره ويظهر كرم العربي واحتوائه لغيره وإن كان أجنبيا، ومعاملته معاملة الصديق. ويظهر ذلك أيضا في قول إيزابيل : " ما إن يراك أهل القرية قادما حتى يدعونك إلى الرغيف والتمر واللبن والرائب، ثم يعرضون عليك تناول القهوة معهم، ويسألونك عن أحوال المدينة وعن وجهتك، وعن حاجتك"<sup>2</sup>، هذا البروتوكول الترحيبي السائد في المجتمع بين الأوساط الشعبية وذلك الاهتمام بالوفاد الجديد والسؤال عنه وعن وجهته طبع معتاد لا للتطفل وإنما قصد المساعدة.

#### • الأدوات والمأكولات الشعبية :

مما اتسم به المجتمع الجزائري ذلك التفاني في الاهتمام بالتقاليد عامة وخصوصا ما تعلق بالمأكولات التقليدية والمقتنيات المنزلية التراثية وقد جرت عادة الروائيين لإظهار مختلف المأكولات والأدوات التراثية الشعبية في نصوصهم وهذا العمل الدؤوب منهم له أهداف واضحة في الحفاظ على الموروث الشعبي ككل، وهو ما تجلّى في رواية إيزابيل فقد وظف سليم بتقة في نتاجه أدوات ومقتنيات تراثية منها " الحصير"<sup>3</sup>؛ وهو الفرش المصنوع يدويا مادته الأولية الحلفاء تستخدم عادة للجلوس وتناول الوجبات، " الصندوق"<sup>4</sup>؛ صندوق خشب كان يستعمل لحفظ المقتنيات الخاصة والألبسة وكل ما هو ثمين.

الزراي وهي الأفرشة المنسوجة من الكتان أو الصوف والحريز تستخدم للنوم " وعلى زراي متراكمة وناعمة"<sup>5</sup>، الأكواب الخزفية..تستخدم لشرب السوائل الساخنة " تبخر الشاي بالقرب من المجموعة في أكواب خزفية"<sup>6</sup>، القربة وهي وعاء مصنوع من جلد الماعز يحفظ فيه الماء ليقى باردا " في إحدى زوايا الساحة تنتصب قربتان على قوائم ثلاث ملطختان بالقطران تنضح بالماء وتحفظ للعائلة ماء باردا

<sup>1</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 186

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 207.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 111

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 57

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 130

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 91

ومنعشا"<sup>1</sup>، وفي مقطع من الرواية عبّر عن مفروشات البيت العربي إذ يقول : " ما إن عبرت عتبة غرفة الضيوف حتى انحبست أنفاسي في حلقي... غرفة الضيوف مفروشة بسجاد مطرز بالصليب الجنوبي وسائد تزين المكان وطاولة خشبية منحوتة... ورائحة العنبر تلفّ المكان..."<sup>2</sup>، استقطبت رواية إيزابيل مجموعة من الأطعمة والمأكولات التي توارثها المجتمع الجزائري جيلا عن جيل فحضور أشهر طبق عند الجزائريين الذي هو الكسكس في ثنايا النص إذ يعدّ رمزا للطعام التقليدي الجزائري " هذه أكلة شعبية عندنا تسمى الكسكس"<sup>3</sup>، الذي يعدّ " من أهم الأطباق التي ترمز للطعام التقليدي الجزائري، نجد الكسكسي الذي له شعبية كبيرة في البيئة الاجتماعية، ولا تخلو مناسبة من المناسبات أفراحا أو أحزانا من تحضير الكسكس كما أشار الروائي إلى وجبات غذائية يتميّز بها المجتمع الجزائري خاصة أهل البادية إلى يومنا هذا..."<sup>4</sup> وأيضا رغيف أو خبز الشعير " رغيف أعد بشعير رديء"<sup>5</sup>، والشاي والتمر هذان المكونان الحاضران في الموائد الصحراوية الجزائرية " قدم لي الشاي والتمر"<sup>6</sup>، القهوة العربية والتي كانت تقدّم عقب الوجبات أو حين حين المبادرة بالاستضافة " والوجبة كانت شهية للغاية ختامها كانت قهوة عربية"<sup>7</sup>.

#### ● الأبنية ومظاهر العمران :

لكلّ بلد ومنطقة طابع عمراي خاص وطريقة بناء مميّزة تبتكر في ضوء ظروف حضارية معينة لتتلاءم مع الحياة المعيشية لأفراد المجتمع، وقد وصف لنا الكاتب في نص إيزابيل - من خلال استدعائه لمعالم وبنيات تراثية جزائرية قديمة العمران - وخاصة النمط العمراي الصحراوي بمظهره المتفرّد.

أتى الكاتب على ذكر بعض المظاهر التراثية المتعلقة بالبناء في مناطق من الجزائر فذكر معالم المدن القديمة ووصف " مجاميع البيوت"<sup>8</sup>؛ أي أنها كانت تبنى متجاورة غير بعيدة عن بعضها وفي الكثير من الأحيان تبنى متقابلة تتوسطها ساحة أو مُراح، ويذكر " كوخ من طين على حافة الواحة"<sup>9</sup>؛ هذا النمط من

1 - سليم بتيقة، المصدر السابق ، ص 128

2 - المصدر نفسه، ص 129

3 - المصدر نفسه، ص 244

4 - خديجة نوري، توظيف التراث في روايات عبد المالك مرتاض، ص 192.

5 - سليم بتيقة، المصدر السابق، ص 244

6 - المصدر نفسه، ص 172

7 - المصدر نفسه، ص 129

8 - المصدر نفسه، ص 10

9 - المصدر نفسه، ص 111

من الأبنية في الواحات الذي يستخدم الطين في بنائه، وقد استحضر الكاتب وصفا لبساتين الفاكهة التي كانت تحيط القرى ومجاميع البيوت المتوفرة على بعض المرافق كالمقاهي إذ قال : " المقهى العربي عبارة عن محل من الطوب"<sup>1</sup>؛ الطوب أو اللين المصنوع من الطين هو المادة الأولية المستعملة غالبا في بناء المساكن الريفية والصحراوية، ويستحضر الروائي خيام البدو في قوله : " غيطان البدو الذين تظهر خيامهم البنية"<sup>2</sup>، وقد أتى على ذكر "أحياء القصبة الجامع الكبير"<sup>3</sup>؛ وهذا وصف لارتصاف الأبنية في أحياء عريقة تشتمل على مساجد ذات مآذن طويلة، إلى جانب هذه الأنماط العمرانية الغالب عليها الطابع العربي تواجدت أحياء وأبنية ذات هندسة أوروبية كالحدايق والمستشفيات والفنادق ذات الشرفات المطلّة على الشوارع الواسعة والحدايق مثل : حديقة لاندرو وفندق بالاص ومستشفى لافيجري.

فالنمط العمراني هو تعبير عن الحياة الاجتماعية السائدة ووصف للحضارة، إذ إن لكل حضارة نمط عمراني خاص بما تبقى آثاره مع مرور الزمن يتوارثها الأجيال بحفظها يحفظ الأصل وتحمي الهوية من الطمس والاندثار.

تشربت السرود الروائية الحديثة المعاصرة الموروث الشعبي فكانت رواية إيزابيل نموذجاً جسّد فيه الروائي سليم بتقة طرق وأساليب استحضاره، فأثقت مزجه في سياقات نصه ليضفي من الجمالية والفنية في عمله الإبداعي ما يشدّ اهتمام القارئ ويلفت نظره إلى مظاهر من الموروث الشعبي أعطت دلالات عميقة وإحالات دقيقة فخدمت النصّ ودعمته للوصول إلى أهدافه.

### 3- توظيف الموروث الديني في رواية إيزابيل :

يحظر في النصوص الروائية تماهيات لنصوص تراثية دينية من آيات قرآنية وأحاديث وأقوال مأثورة وشخصيات بارزة، يوظفها الروائيون في نصوصهم ويتعاملون معها بحذر خاصة ما تعلق بالنصوص المقدسة كالقرآن والحديث النبوي، خوفاً من إزاحتها عن معناها الذي نزلت من أجله ودرءاً للتحريف والتزييف إلا أن النزوع الديني لمعظم الروائيين يقحمهم في استدعاء الموروث الديني إما بوعي أو من غير وعي وحضورها له

<sup>1</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 130

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 132

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 65

" أن يضيف إلى النص إيجاءات جمالية ودلالية معنوية وخصوصا إذا وفق الروائي في اختيار النصوص التي تخدم الحدث الروائي وتؤدي إلى تطوير الشخصية وتنسجم مع سياق النص العام".<sup>1</sup>

يفرض النص الديني حضوره داخل السرد الروائي كما تتمتع مظاهر الدين باختلافها مع النصوص الروائية، وإن لهذا الحضور خصوصية في التجسيد والاستدعاء باعتبار هالة القداسة التي تحيطه والتعظيم الذي يلقه فتأتيه كموروث ثقافي يؤثث على أساسه النص السردي الروائي الذي يقتضي معرفة بالدين ودقة في نقله خاصة ما تعلق بنقل نص مقدس من متنه الأصلي إلى متن العمل السردي وطرق التعامل معه واليات إقحامه فيه، إذ لا يسع أهل المعرفة والعلم التنصل من الانتماءات الدينية في صوغهم لنتاجاتهم المعرفية وإبداعاتهم الفنية فمثلا : " النحاة المسلمون ( سيوييه...) لم يستوا قواعد اللغة ولم يضعوا الأسس النظرية للنحو العربي بمنأى عن تأثير المنظومات الدينية ( التفسير، الفقه، ...) وكذا الأمر بالنسبة إلى البلاغيين ( عبد القاهر الجرجاني...) والمتكلمين ( المعتزلة، الأشاعرة...) "<sup>2</sup>، وكذا معظم الروائيين في العصر الحديث الذين كتبوا نصوصهم متأثرين بالدين فهذا التأثير جرّهم إلى التناص مع النصوص الدينية والمتح منها مراعين في توظيفها قدسيته وحرمتها دون التجرؤ عليها، فتأثير الدين - بنصوصه - على النحاة والبلاغيين وكذا الشعراء والروائيين القدماء والمعاصرين إن اختلف ذلك التأثير يبقى الحد الذي لا يمكن تجاوزه ولا التغاضي عنه لكن دون مساس بقدسيته، إنما الهدف من ذلك نشره وتعظيمه غالبا.

وقد سعى سليم بتيقة في رواية إيزابيل إلى تجسيد ذلك التأثير للدين على ثقافته وزاده المعرفي والذي انبجس عيوننا سقت فقرات نصه فأزهت وأثمرت، وقد رصدنا حضور تناصات لآيات قرآنية وأحاديث نبوية بألفاظها ومعانيها احتلت مكانها في الرواية بحسب احتياجاتها التعبيرية ودلالاتها فنجد في مقطع من الرواية قوله : "منظر البحر... هذا المخلوق العجيب من يقوده؟... وهذه السفن من أنشأ مادتها وأودعها خصائصها فجعلها تطفو على وجه الماء؟ وهذه الريح التي تدفع تلك السفن من جعلها قوة في هذا الكون تحركها في البحر كالأعلام؟"<sup>3</sup>، في هذا القول تناص مع الآية : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ

<sup>1</sup> - سعيد سلام، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أمودجا، عالم الكتب الحديث الأردن، د.ط، 2010م، ص 142، نقلا عن خديجة نواري، التراث في روايات عبد الملك مرتاض ص 76.

<sup>2</sup> - محمد إدريس، مقال: قراءة في مشروع نصر حامد أبو زيد الفكري (1943 - 2010م)، 20 أبريل 2015م، موقع مؤمنون بلا حدود - [mominoun.com/articles](http://mominoun.com/articles) تاريخ الإنزال : 21 ماي 2025م، 20:00 سا .

<sup>3</sup> - سليم بتيقة، المصادر السابق ، ص 51

كَأَلْعَلَمٍ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَالِي ظَهْرِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ [الشورى : 32 - 34]

وفي مقطع آخر من الرواية يقول : " بعد انتهاء الصلاة، انتشرت جموع المصلين في الأرض"<sup>1</sup> وهو تناص صريح مع الآية الكريمة : ﴿ فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : 10] ، وفي قول الروائي " ابنها الذي قضى نجه"<sup>2</sup>؛ وهذا استحضار للآية : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : 23] ، أما الأحاديث النبوية الشريفة التي تناص الروائي بتقة معها فنلمحها في قوله : " فالليلة هي ليلة السبوع، ازدهى وجه خذير فجأة فرحا بالمناسبة.. رويدا رويدا راحا يخوضان في حديث الولادة والسبوع"<sup>3</sup>، السبوع هو إقامة مأدبة في اليوم السابع من ولادة الطفل فيختن في غالب الأحيان ويقص شعره وتُدبَح لأجله الذبائح امتثالا لسنة نبوية وهي العقيقة وهذا تناص مع حديث الرسول ﷺ : عَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيْقَتِهِ تُدْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَقَالَ بَهْرٌ فِي حَدِيثِهِ: وَيُدْمَى، وَيُسَمَّى فِيهِ، وَيُخْلَقُ "، قَالَ يَزِيدُ: " رَأْسُهُ"<sup>4</sup>، ويحضر نص غائب لحديث آخر يقول فيه الرسول ﷺ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن. سبحان الله وبحمده. سبحان الله العظيم"<sup>5</sup>، من خلال قول الروائي : " - بين إيزابيل وعزيزة.. أخلطتهما فكانت زينة. اسم خفيف على اللسان.. قريب من الوجدان..<sup>6</sup>، إن هذا الحرص والدقة من سليم بتقة في إقامة تفاعل بين النصوص القرآنية والحديث الشريف مع نص روايته يُتم عن مدى وعيه بالدين وتفقهه فيه، فأثرى نصه بالتوظيف سالف الذكر، وقد وردت ألفاظ ذات بعد ديني في نص رواية إيزابيل قام بدمجها في الكثير من

<sup>1</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق ، ص 70

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 181.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 56.

<sup>4</sup> - شعيب الأرنؤوط، كتاب مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، جز:33، ص 271.

<sup>5</sup> - الإمام مسلم. صحيح مسلم باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ،تحقيق محمد مصطفى الأعظمي مكتبة الكوثر - المربع - السعودية الطبعة: الثالثة، 1410 هـ، الجزء 4، ص 2072.

<sup>6</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق ، ص 177.

الحوارات الحاصلة بين شخصيات الرواية فنجد لفظ " السلام عليكم ووعليكم السلام"<sup>1</sup>، و "ونعم بالله"<sup>2</sup> " الحمد لله "<sup>3</sup>، " بارك الله فيك"<sup>4</sup>، وغيرها من الألفاظ مثل : شكرا لله، إن شاء الله، آمين، هذه الألفاظ المقتطفة من لغة التخاطب بين المسلمين والمتداولة في أوساط المجتمعات العربية خاصة ومنها ما انتقل إلى التداول في المجتمعات الغربية، أظهر بها الكاتب لغة التراث الإسلامي وأحيائها من خلال بثّها في نصّه لتبقى دليلا على الهوية الإسلامية وعدم ضياعها وذوبانها إثر التأثير بلغات أجنبية وتبني التخاطب بها.

إنّ الإتصال الوثيق للروائي سليم بتقّة بمجتمعه الإسلامي المحافظ قد تجسّد من خلال ما استدعاه من مظاهر دينية إذ نلّفني قوله في الرواية : " كانت الإبنة تذهب إلى المسجد وتتلقّى دروسا في اللغة العربية ... إنّها اعتنقت الإسلام "<sup>5</sup>، وقوله : " توضأ، صلى العصر...تسند ظهرها إلى وسادة ويدها مسبحة"<sup>6</sup> وعبارة " لقراءة القرآن الكريم بنصّه "<sup>7</sup>، وأيضا عبارة " وتقوم الأم بركاهم إلى الصلاة"<sup>8</sup>، " راحت الأم بركاهم تمزّ المولود وتُخفضه وهي تمّلل، وتصلّي على النبي، وتدعو للمولود"<sup>9</sup>، طعم الروائي بتقّة سياقات نصّه بهذه العبارات الحاملة لمظاهر الدين اشتغالا منه على استرجاع التراث الديني داخل روايته ليبيّن في نفس القارئ تلك الشحنة التراثية المنوطة بالدين الإسلامي ويجدد بثها في كل مرة يصل فيها القارئ إلى عبارة معبأة بمظهر ديني، إذ إنّ نص رواية إيزابيل لم يُسرد كله بلغة ميّالة إلى القرآن ولغة المسلمين وإثما نلّفنيها على شكل محطات حسب الحاجة إلى توظيفها، يقوم الكاتب باسترجاعها داخل نصه وتوضيها

إنّ امتصاص نص إيزابيل للتراث الديني لم يتوقف عند ما ذكرناه بل سعى إلى ذكر معالم ومرافق خاصة بالتراث الإسلامي كالمسجد والزاوية والضريح، ففي مقاطع من الرواية استحضر الروائي عدة زوايا بأسمائها وتوجهاتها ووصف طقوسها وشعائرها الدينية، وذكر شيوخها، حيث قال في أحد المقاطع : " هذه المرة كانت الوجة زاوية الهامل ببوسعادة عند المرأة الأبرز المرابطة لالة زينب "<sup>10</sup>، وفي مقطع آخر يقول : " إلى زاوية

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 181

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 89

<sup>3</sup> - سليم بتقّة، المصدر السابق، ص 177

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 207

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 19

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 53

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 62

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص 93

<sup>9</sup> - المصدر نفسه، ص 54

<sup>10</sup> - المصدر نفسه، ص 193

القنادسة، أريدك أن تتحدثني إلى الشيخ سيدي ابراهيم<sup>1</sup>، ويقول أيضا : "إنه لشرف عظيم أن أحضى بقبول العضوية ضمن إخواني من الزاوية القادرية"<sup>2</sup>، وفي مقطع آخر يقول : " سألته بدوري عن زاوية عين عين ماضي...حدثني عن أورال بيكار أو لالة التيجانية وزواجها من أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية والذي باركه الكاردينال لافيغري"<sup>3</sup>، إن الناظر لهذه النقطة من الرواية بعين العقل لابد أن يلفي دلالات تاريخية تراثية مرتدية قناع الدين غير أنّ وجهها الحقيقي هو التعبير عن العلاقة التعاونية التي كانت قائمة بين الزوايا والطرق الصوفية والمستعمر الفرنسي الذي بارك جهودها في ترجيح الكفة لصالحه، هذه اللغة التي اعتمدها سليم بتقة لتبصير القارئ وتنويره على ما هو معيَّب من التاريخ أو مسكوت عنه، يروم بذلك إعطاء صورة للمتلقى تفهمه جانبا خفيا من التاريخ يُتعدَّر الخوض فيه صراحة وبوعينا لأقوال بعض أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي توافقت مع قول الروائي سليم بتقة، إذ يقول الشيخ البشير الإبراهيمي في آثاره : " إنَّ كسب شيخ طريقة صوفية أنفع لنا من تجهيز جيش كامل وقد يكونون ملايين، ولو اعتمدنا في إخضاعهم على الأموال والجيش لما أفادتنا ما تفيده تلك الكلمة الواحدة من الشيخ..."<sup>4</sup>، وأتى الروائي على ذكر المسجد أو الجامع - باعتباره الصرح الذي يميّز الإسلام - بمآذنه المرتفعة وهندسته المميّزة والتي تحوز دلالة تراثية وبعدا تاريخيا مبطنًا بكلّ معاني الدين الإسلامي فذكره فقال : " كانت الإبنة تذهب إلى المسجد وتتلقى دروسا في اللغة العربية"<sup>5</sup>، وقال : " وسياخذك إلى الجامع الكبير"<sup>6</sup>، ويقول : " وترتفع المآذن"<sup>7</sup>، استحضر سليم بتقة المسجد أو الجامع بلغة أهل المغرب باعتبارها بيوت الله ومراكز أداء عبادة الصلاة ليظهر مدى اهتمام المسلمين بمعمارها وهندستها، واستحضارها في النصوص سعيا للحفاظ عليها كموروث ديني وبالتالي الحفاظ على الهوية الدينية للمجتمع الاسلامي.

برع الروائي سليم بتقة في حقن نصّه بمصل الموروث الديني في جسد عمله الإبداعي " إيزابيل" مقويا بذلك حججه مستكملا بلاغته لاستحضاره لنصوص دينية بمبانيها ومعانيها، ومزجه لغته السردية بلغة القرآن

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 246

<sup>2</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 172

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 166

<sup>4</sup> - مجّد البشير الإبراهيمي، كتاب الآثار، دار الغرب الإسلامي، ط 01، 1997م، الجزء : 05، ص 143.

<sup>5</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 19

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 65

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 17.

والحديث التي قدّ منها ألفاظها ومعانيها ليجعل منها مطية تراثية تجول بالمتلقي في نص متفرد بدلالته متميزا بأهدافه.

#### 4- توظيف التراث الأدبي عند سليم بنقمة في رواية إيزابيل :

إنّ قدرة الرواية على احتواء مختلف الأجناس الأدبية جعلت منها قطبا جاذبا وضامنا لشتى أنواع التراث الأدبي ف: " منذ حديث (جوليا كريستيفا) عن قضية (التناص) والنقد الأدبي قد استقر على حقيقة من حقائق النصوص الأدبية، وهي أنّها لا تنشأ بمفردها منعزلة عما سواها من نصوص، وإنما تنشأ النصوص متفاعلة مع كمّ كبير من النصوص السابقة عليها والمعاصرة لها والمحيط بها...<sup>1</sup>، ومنه فإن نص إيزابيل لصاحبه سليم بنقمة قد جعل من التراث الأدبي سندا ارتكز عليه ليدخل في عملية تفاعلية قام عليها بناؤه الفسيفسائي، فقد "غدا توظيف الأشكال الأدبية التراثية إحدى الوسائل الناجعة التي يلجأ إليه المبدع المعاصر بغية وضع الماضي بملابساته كافة في مقابل الحاضر بمفرداته المتشعبة التي لما تستقر في ذهنه والمقارنة بينهما، أو لتأسيس مساحة مشتركة بين وعي المتلقي المشدود إلى لحظة آنية تسلبه كثيرا من هويته ووعيه المشدود إلى ماضٍ أثير يختلط فيه الحقيقي بالمتخيّل"<sup>2</sup>، وقد جعلنا من تحليلنا لرواية إيزابيل مطية نصل من خلالها إلى القيمة الوظيفية للتراث الأدبي المستقطب داخلها وإظهار مدى نجاعة آلية التناص في عملية التفاعل بين النصوص.

فمن خلال رواية إيزابيل نجد العديد من التناصات مع التراث الأدبي خاصة مع الشعر العربي المتماهي في نصها ففي قوله: "وتتهاوى طيور النورس من عل"<sup>3</sup>؛ فهذا تناص مع شطر من بيت شعري في معلقة امرؤ القيس يقول :

مكّر مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أحمد يحيى، وآخرون، سلطة التراث وبلاغة المتخيّل، ص 13.

<sup>2</sup> - أحمد يحيى، وآخرون، سلطة التراث وبلاغة المتخيّل، ص 13.

<sup>3</sup> - سليم بنقمة، المصدر السابق، ص 17.

<sup>4</sup> - أبي عبد الله الزوزني، شرح المعلقات السبع، تح: طلال أحمد، دار الكتاب الحديث، ط1، 2002م - 1423هـ، ص 32.

وفي مقام آخر يقول "وعند نافذتي كنت أقضي لحظات طويلة من الليل أتحدث بصمت إلى شجرة نخيل مسكينة في الفناء معذبة وجرداء مثل أشجار فان جوج"<sup>1</sup>، يأخذنا هذا القول الشاعر إلى قصة عبد الرحمان الداخل في الأندلس حين كان يناجي نخلة يشكو لها أحزانه وبعده عن الديار وحنينه لبلده الأصلي فيقول :

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة      تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرّب والنوى      وطول التناهي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة      فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غواذي المزن من صوبها الذي      يسحّ ويستمري المساكين بالويل.<sup>2</sup>

وقد أتى الروائي على استحضار الأشجار الجرداء التي كان يرسمها فان جوج في لوحاته ليشبه حال تلك النخلة بها، ومن خلال ما سبق يدرك القارئ أن الروائي يلمح إلى الاغتراب الجسدي في البعد عن الديار، بإحالة القارئ إلى قصة عبد الرحمان الداخل ويعطي كذلك صورة عن الاغتراب النفسي بنقل المتلقي إلى قصة الرسام الهولندي المنتحر فان جوج من خلال ذكر صفة الأشجار التي يرسمها.

إذا فالتناصت الحاصلة في النص الروائي إيزابيل لا تقتصر على المصالبة بين النصوص لتوليد الجمالية الظاهرية على وجه النص فقط بل تتعداها لتجعل القارئ يغوص في التراث الأدبي سردا كان أم شعرا، وقد نفت عن النص أنه بنية كاملة بذاتها لتجعل منه بنيات متجاوزة ومتجانسة.

ويتبدى لنا موضع آخر في نص الرواية يظهر من خلاله استحضار الروائي لحياة الشاعر امرؤ القيس صاحب المعلقة في مقطع الرواية يقول : "سي محمود هو الشاعر النائه المعذب الذي يخون الزوجة النائمة من أجل الطريق، كم مرّة اضطرت أن تترك سليمان لتتجول على سهوة جوادها بين الأحجار والصخور والرّمال، ومن قبيلة إلى أخرى، ومن خيمة إلى خيمة..."<sup>3</sup>، وقد لُقّب امرؤ القيس بالملك الضليل لتيهانه قبل مقتل أبيه مع جملة من الصعاليك وبعدها ظل تائها لا يعرف خلاصا للظفر بثأر والده، تكمن أهمية هذا

<sup>1</sup> - سليم بنتقة، المصدر السابق ، ص 154.

<sup>2</sup> - محمد عبد الله بن عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط4، 1997م، ص 203.

<sup>3</sup> - سليم بنتقة، المصدر السابق ، ص 193.

التناسق في إظهار ميول إيزابيل داخل الرواية لأن تكون شاعرة لتعبّر عن حالة حياتها المرهونة بالتيه والضياح وكذا إعطاء صورة عن نزوع الروائي إلى التراث الأدبي الشعري ممّا أدى به إلى السخّ منه والمتح من مادته ويرجع أخذ الكاتب سليم بتقة من التراث الأدبي إلى : " مطالعته لكتب السرديات العربية القديمة التي تقدّم تفسيراً لحقيقة توظيف النص الشعري، إذ نلاحظ ما يشبه الاتفاق الجمعي بين مؤلفي هذه الكتب حول ضرورة تغذية المتن السردى بالنص الشعري، باعتبار المزج بينهما أمراً مترسخاً وقاراً في تقاليد الصياغة الإبداعية للمؤلفات العربية السردية آنذاك، سواء أكانت مؤلفات تنتمي إلى الكتابة الإبداعية الصرفة الناهضة على فكرة التخيل - مثل المقامات - أم كتابة تنطلق من مفهوم التاريخ والسير مثل الأغاني للأصفهاني، ونشوار المحاضرة للمُحسن التنوخي وأزهار الرياض للمقرّي التلمساني".<sup>1</sup>

وفي عدّة مقامات من رواية إيزابيل يشير الروائي إلى متعلقات التراث الأدبي ومصطلحات تنتمي إلى الحقل الدلالي الأدبي فيبرز حجم استيعاب النص لمختلف عناصر التراث إذ نجد قوله : " الانغماس في عالم الرواية والقصة والشعر..."<sup>2</sup>، هذه التسميات الواردة لأجناس أدبية تعطي للقارئ نظرة عن اهتمام الروائي بكل ما هو متعلق بالأدب، فنلفي في قوله عبارة : " حالة يرثى لها"<sup>3</sup>، وهو قول متأثر جعله الراوي في موضع يتناسق فيه مع نصه الروائي في زمن وحال يقتضي أن يقال فيهما بحسب حاجة النص لذلك، وفي عبارة أخرى يقول : " إنه اسم شاعري جميل، ...أحّته من إيزابيل؟، بين إيزابيل وعزيزة...أخلطهما فكانت زيزة"<sup>4</sup> وفي هذا الموضوع يذكر الكاتب مصطلح النحت الذي هو حسب قول ابن فارس في معجمه: "نحت، النون والحاء والتاء كلمة تدل على نجر شيء وتسويته بجديدة، ونحت النجار الخشبة ينحتها نحتاً"<sup>5</sup>، أي أنه أنقص من الشيء ليركب عليه شيئاً آخر، ومثال ذلك في قول الشاعر :

أتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، رواية الشراع والعاصفة، لحنا مينة أمّودجا، دار مجدة لاوي لنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2003م، نقلا عن أحمد

بجي، وآخرون، سلطة التراث وبلاغة التخيل، ص 28.

<sup>2</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 63.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 188.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 177.

<sup>5</sup> - ابن فارس مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ج5، ص 404.

<sup>6</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت، ج 01، ص 61.

وقد كان النحت سنّة في كلام العرب فكلمة عبشمية في البيت هي نحت من كلمتي عبد وشمس والشيخة من بني عبد شمس، ونجد النحت في كلمات مثل : حيعل في نحت حي على الصلاة، وحوقل في نحت لا حول ولا قوة إلا بالله.. وغيرها .

وقد عُرف النحت في اللغة العربية قديما وما يزال معمولا به في لغة العصر الحديث إذا فهو مصطلح لغوي أدبي تراثي، أما بالنسبة لعودة الروائي سليم بتقة للسرود العربية القديمة فإنه لم يأخذ منها نصوصا على وجه التحديد غير أنه ذكر بعضها مثل " ألف ليلة وليلة"<sup>1</sup>، " قصة علاء الدين"<sup>2</sup>، عودة الروائي إلى مثل هذه النماذج السردية التراثية والمتح منها إنما هو إحياء وإثبات حضور وإعادة بعث لها في ظل تسارع وتيرة المهولة إلى كل ما هو حديثي من نصوص والتنصّل من التراث والتاريخ ف " إعادة قراءة تراثنا الأدبي والفكري، معالجة التفكير فيه بشكل دائم وجديد من مستلزمات تكوين فكرة دقيقة ومتجددة عنه، وعن أبرز ملامحه وسماته، كما أنه من دواعي تشكيل وعي جديد بذواتنا وهويتنا ومستقبلنا"<sup>3</sup>؛ وقد جعل سليم بتقة من نص رواية إيزابيل قطبا جلب وحوى وعالج التراث الأدبي بمختلف متعلقاته باعتماده على آلية التناص للقيام بعملية التفاعل بين النصوص المستدعاة ليشكل نص إيزابيل إطارا عاما لها، وقد وفق في إظهار مدى نجاعة ونجاح آلية التناص للوصول إلى توظيفات وظيفية غير خاملة داخل الرواية.

## 5- النزوع الأسطوري في رواية إيزابيل :

على غرار الشعر الذي احتفى بالأساطير وأودعها نصوصه، فإنّ الراوي والرواية العربية الحديثة والمعاصرة قد نزعت إلى الأسطورة وأعملتها داخل النصوص السردية، إذ إن الأسطورة تدفع بالأحداث للتقدم وتسهم في استمرار حركية السرد.

استلهم سليم بتقة الأسطورة في نصه إيزابيل فتجلّت في مواضع محددة بدقة ومن تلك المواضع قوله :  
"وكأنها غارقة في نوم بسبب تعويذة ساحرة"<sup>4</sup>، وهو تجلي لأمر سحرية موجودة في الأساطير المتعلقة بالسحرة بالسحرة وأعمالهم وأدواته كالعصا السحرية التي ذكرها في قوله : "كأني منقولة إلى هنا فجأة بعصا سحرية"<sup>5</sup>،

<sup>1</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 120.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 128.

<sup>3</sup> - سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرود العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1997م، ص 15.

<sup>4</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق ، ص 29.

سحرية"<sup>1</sup>، فالغرض من دسّ مثل هذه العبارات التي تُجَلِّي النزوع الأسطوري للنص هو استمرار عجلة السرد في سيرها ونقل المتلقي إلى قصص جديدة داخل النص الروائي وقد أتى الروائي على ذكر قصة سندريلا حيث إنَّها مفعمة بالسحرية والعجائبية وقد تجلّت في قوله: "وتكونين محبوبة ومعشوقة كما في الروايات، وتنتظرين فتى أحلامك وكأنك سندريلا قبل الحفل"<sup>2</sup>، عمل الروائي سليم بتقّة على استحضار مثل هذه القصص والشخصيات الأسطورية لإشباع سرده بمختلف العناصر التراثية، وفي مقام آخر يذكر فيه الأشباح إذ إن رواية إيزابيل لا تخلو من الخيالي والعجائبي فيقول: "ويل لمن يبقى وحيدا مع الأشباح"<sup>3</sup>، فالأشباح من الأساطير الشعبية العجائبية التي وظفها سليم بتقّة في ثنايا سرده إلى جانب الأساطير التي يعتقد فيها العامة اعتقادات تكاد تجزم بحقيقتها ففي قوله: "نجم قد يكون ضل طريقه، يعتقد العامة من الأهالي أنّها روح تدخل الجنة"<sup>4</sup>، وهي من الأساطير الشعبية التي حصلها الروائي فزرعها داخل نصه لإمداد المتلقي بنوع من العجائبية والخيالية التي تجعل سرد الروي نهرًا يتدفق ويسري دون توقف، ومن الأساطير المروية في الحكايات القديمة انشقاق القمر كما جاء في مقطع من رواية إيزابيل "كان يظن أن وجه القمر سينشق كما يحدث في الحكايات القديمة"<sup>5</sup>، فهذا التعبير يحيل القارئ إلى حادثة أسطورية وهي انقسام القمر إلى نصفين ويأخذ ليسترجع في ذهنه قصّة حدثت في عهد الرسول ﷺ كمعجزة أقام بها الله تعالى لرسوله الكريم الحجّة على كفار قريش، وفي مقام آخر يأتي سليم بتقّة على ذكر أسطورة سيف علي بن أبي طالب الذي اشتهر في الإسلام إذ يقول: "ثمّ سألته عن الشرخ الذي بين الجبال فكان جوابه غريبا، إذ سرد عليّ أنّها ضربة سيف علي بن أبي طالب ... وأضاف أن هذه الجبال تُوقف السحب عند قمتها، وأن المطر يأتيها فيحبس هناك، وأن الشتاء لا يعبر هذا الجسر العجيب الذي يفصل بين فصلين الشتاء والصيف وبين ضفتين هما التل والصحراء"<sup>6</sup>، هذه من القصص العجيبة التي استخلصها الروائي من الأساطير الشعبية المنتشرة في المجتمع والتي والتي تحيي سيرة علي بن أبي طالب ﷺ في خضمّ السرد وتحكي قصة سيفه التي تكتنفها الأسطورة وتلقّها العجائبية فعليّ رمز الفروسية والقوّة والشجاعة، هذا ما عمد الروائي على استثماره في نصه، فباستدعائها كأن الكاتب يجعل منها أداة تنجّر وتصلق الزوايا والتواءات الحادة في السرد لتجعل منه أملس مستساغا للمتلقي

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 103

<sup>2</sup> - سليم بتقّة، المصدر السابق، ص 150

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 29

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 241

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 58.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 96 - 97.

ويجعل من القراءة سلسلة على اللسان مناسبة في الأذهان الواعية، وقد عمد الروائيون على غرار سليم بتقة إلى الأساطير "ومصوغ ذلك ما يمكن تسميته : \* حفريات روائية \* تحاول استعادة مناخات البداءة الأولى، ومنجزات المخيلة البشرية في الحقل الأسطوري، واستنهاض المخيال الشعبي الزاخر بما له غير صلة بما هو أسطوري من مغاور النسيان التي تكاد تعصف به لصالح الأدب المستقر منذ عقود طويلة من الزمن، وليس غلوا في القول، إن الكثير من تلك الحفريات قد تمكّن من إنجاز متخيّل روائي شديد الغنى والتنوع".<sup>1</sup>

حمل نص رواية إيزابيل العديد من أنواع التراث ما جعل منه مستودعا ثريا وحقلا غنيا بالمادة التراثية وخاصة الأسطورية منها، وقد وُفق سليم بتقة في استحضار مختلف القصص الأسطورية بشخصياتها ذات الدلالات الرمزية التي تنقل المتلقي من الواقع إلى الخيال ومن عالم الشهادة إلى عوالم ميتافيزيقية وتعطي للسر ديمومة في الحركة ليكون شبيها بكرة الثلج المتدحرجة التي تكبر وتعظم حتى تتوقف في نقطة استقرار السرد لتذوب فيه وتثبت مسافة زمنية معينة ثم تعود إلى التصاعد والنزول عند قصة أو شخصية أو رمز أسطوري جديد.

من خلال التعمّق في سبر أغوار نص الرواية وتحديد تمظهرات التراث المختلفة والوصول إلى دلالاتها ومراميها والتعرّف على آلية التناس كآلية توظيفية مازجة للنصوص قد توصلنا في هذا المبحث إلى كل ما سبق ورصدنا توجّهات وأفكار حواها نص الرواية ونشرها الروائي داخله من خلال بثّها في سرده.

<sup>1</sup> - نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، الأملية للنشر والتوزيع، ط1، 2010م، ص 204.

## المبحث الثاني : الانفتاح على التراث الأدبي الأجنبي في نصّ إيزابيل.

يسعى الروائيون إلى إظهار شساعة اطلاعهم وعمق ثقافتهم وإلمامهم بمختلف العلوم والمعارف على غرار الأشكال الأدبية التي جمعتها نصوصها الروائية فكان للشعر والمسرح والموسيقى ومثيلاهما من الأشكال الأدبية دور كبير في إبراز حمولة الكاتب الثقافية.

### 1- التناص والانفتاح على ثقافة الآخر :

إنّ حمولة الروائيين الثقافية والمعرفية بتوظيفها تعطي انطباع للقارئ يحيله على مدى تضلّع الروائي في الكتابة الروائية ومتحه من شتى روافد الثقافة العالمية والمحلية، تحفز في المتلقي ذلك الجزء الباحث من عقله، فهي شحنة فنية ذات أبعاد ثقافية لإحياء الذاكرة قصد استيعاب النص وفك مبهماتهِ والوصول إلى مراميهِ ودلالاتهِ فنجد في رواية إيزابيل العديد من الاقتباسات التي تأخذ بيد القارئ إلى جنة الروائي التي غرس فيها شتى صنوف حمولته الثقافية المنتقاة بدقة ليطعمها على نصوصه الروائية فتعطي نصا مثمرا يستحليه القارئ ويستلذه مهما كانت إيديولوجيته وفكره فيؤوِّله كل حسب فهمه واستيعابه وخلفيته المعرفية والثقافية.

تفاعل نص رواية إيزابيل مع أقوال ونصوص لكُتاب وأدباء أجنب جاءت لتمنح هيكله نص الرواية توشية جمالية وطبعة فنية وإبداعية، فنجد قولاً مقتبسا من فيكتور هيغو على لسان ذلك المبشر أو رجل الدين المجلس لآندريه جيد الكاتب الفرنسي حينما التقيا في باحة فندق الصحراء إذ يقول متحدثا : " سن الأربعين هو الشباب في الكبر، والخمسين هو سن الشباب في الكبر"<sup>1</sup>، لنجد قولاً آخر على لسان الراوي حين تحدث عن السعادة بعد وصف طويل لأحوال الصحراء في فصل الحر فقال : " العائلات السعيدة تتشابه بينما العائلات النعيسة تعيشها كل على طريقته الخاصة"<sup>2</sup>، هذه الجملة المقتبسة والشهيرة في رواية آنا كارينينا التي اقتطفها الكاتب من عمل لتولستوي ليزرعها في تربة نصّه لتنبثق على ثقافة جديدة وبالتالي قد أعطت القارئ نظرة على عمل أدبي لواحد من أشهر الروائيين الروس، تلك التفاعلات النصية في نص رواية

<sup>1</sup> - سليم بنقة، المصدر السابق ، ص 42.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 48.

إيزابيل الحامل لاقتباسات الأدباء والكتاب الغربيين جعلت الرواية تفيض بالثقافة العالمية بكل تلويناتها وبالتالي فهو دليل على فيض الزاد المعرفي والثقافي المودع في جعبة المؤلف، وأما ما ينم عن منهجية الكاتب الدقيقة والضابطة لبنائه لعمله الروائي فهو طريقة رصفه للأقوال المقتبسة وتحليلها بين أسطر النص وكذا تحيئه لزمن استدعائها وبالتالي فهذا ناجم عن حسن الربط، إذ لا يحس القارئ بالنشاز والاختلال أثناء سيره في القراءة إنما يجد سلاسة وسهولة في اللفظ وقبولاً وتفهماً في المعنى، إذا فهو حسن السرد . لم تقتصر اقتباسات الروائي في نص إيزابيل على الأخذ من أقوال وكتابات الأدباء المشهورين بالكتابة بل تعدى ذلك إلى اقتباسه من أقوال الفنانين والرسميين إذ نلني قولاً للرسم الفرنسي بول ألبيير لورانس على لسان صديقه جيد الذي أجرت معه إيزابيل حواراً في مقهى بسكرة حيث تذكر قول صديقه حين قال : " إن اللباس الأوروبي وصمة عار، فإذا لم تستطع أن ترتدي لباساً عربياً وأنت قادم إلى هنا - الصحراء (بسكرة) - فعليك أن تدخل عارياً"<sup>1</sup>، لم يكتف سليم بتقنة في نصه باحتضان نصوص الكتاب والفنانين فتوسل أقوال الفلاسفة والمفكرين فيظهر ذلك في إيراد لقول الطبيب والفيلسوف الألماني ألبيير شفايتزر حين تحدث عن السعادة فقال : " النجاح ليس مفتاح السعادة، السعادة هي مفتاح النجاح، إذا كنت تحب ما تفعله فسوف تنجح"<sup>2</sup>، هذا القول الذي جاء عقب حديث إيزابيل عن رأي صديقها باريكاند الذي كان يبعث لها برسائل يثني على تطور كتابتها فتذكرت أنه كان كثيراً ما يذكره، ليرد نص مقتبس آخر للراهب الفرنسي شارل دو فوكو حيث قال : " عليك أن تسافر إلى الصحراء، وتبقى فيها لتتال نعمة الله"<sup>3</sup>، هذا ما ردت به إيزابيل على النقيب كوفي حين احتار في إعجابها بالصحراء، وقد استحضر الروائي قول دو فوكو فعبر به عن شساعة اطلاعه وتبحره في مختلف الثقافات قبل أن يعبر به عن شساعة الصحراء ووجوب التبحر والسفر فيها، دعم الكاتب خطابه الروائي بما ذكرناه من اقتباسات اختلفت المواضيع الأصلية التي قبلت فيها من قبل أصحابها لكن حذق وذكاء الروائي وحسن تعامله معها جعلها تحتل مواضع محددة بدقة خدمة لنصه.

إنّ ما حملته رواية إيزابيل من اقتباسات وتناصبات قد جعلت منها نصاً شبيهاً بكتاب جماعي عكف على كتابته مجموعة كبيرة من الأدباء والشعراء والفنانين والفلاسفة ورجال الدين من مختلف الثقافات والبلدان في العالم ليخرجوا للساحة الأدبية عملاً إبداعياً يستدعي التركيز والتأمل الشديدين والثقافة الواسعة والمعرفة

<sup>1</sup> - سليم بتقنة، المصدر السابق ، ص 107.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 121.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 180.

الكبيرة من المتلقي أثناء قرأته، أما الباحث فيه والدارس له فلا يمكنه سير أغواره والتنقيب فيه للوصول إلى دلالاته إلا إذا كان على درجة صاحب النص من المعرفة والثقافة أو أكثر.

لم تكن اقتباسات وتناصات الروائي سليم بتقّة حكرا على الأقوال والحكم المسرودة بل اتسع نطاق اقتباسه وتناصه مع القصائد الشعرية للشعراء الروسيين مثل بونين، وألكسندر بوشكين فقد فتح أمام الشعر الأجنبي بابا فاقتبس من أعمال بونين وبوشكين ووظفها داخل نصه إذ نجد قصيدة الشاعر بونين حيث يقول الروائي :

قرأت آخر مرة قصيدة لبونين، وهو شاعر هاجر من روسيا ويبدو أنه كان يعاني وهو بعيد عنها أحفظ منها هذه الأبيات :

"لكلّ عصفور عشّه، ولكل وحش وجاره

أيّ إحساس موجد شعر به قلبي الفتي صباح

مغادرة بيت أبي، وقد توقفت على السلم وقلت

وداعا للبيت الذي ولدت فيه

ما أعلى ما كانت دقات قلبي من الحزن وأنا أحمل

حقيبة معلقة على كتفي، أصبحت الآن بالية، وأرسم علامة الصليب..

ودخلت ذلك البيت الغريب الفارغ الذي استأجرته.."<sup>1</sup>

هذا النزوع إلى الشعر الأجنبي للروائي وبالتحديد الشعر الروسي مع الاندماج في الهوية العربية، هو صحوّة من الروائي كان قبلها غارقا في الوهم الفرنسي حيث إنه قال : " لهذا بأسره الأدب الروسي قراءة... هويتي الجديدة، بالنسبة لي هي حياتي التي ستمحو وهمي الفرنسي إلى الأبد"<sup>2</sup>، تعمّد الروائي استخدام مصطلحات كالهويّة والوهم الفرنسي ليحيل المتلقي إلى دلالاتها التي يُعنى بها المجتمع الجزائري كلّّه، إذ إن الحفاظ

<sup>1</sup> - سليم بتقّة، المصدر السابق ، ص 229

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 230

## الفصل الثاني:..... التراث في رواية إيزابيل والانفتاح على ثقافة الآخر.

على الهوية الجديدة والمقصود بها الهوية العربية الصحراوية مرهون بمحو الوهم الفرنسي المستدمر والمخرّب ليقحم الروائي نصا شعريا آخر بين ثنايا سرده لنص رواية إيزابيل حيث يقول : " وكما قال بوشكين :

تحت شمس إفريقيا ..

سأفتقد روسيا ..

حيث عانيت، حيث أحببت ..

حيث وضعت قلبي في القبر .."<sup>1</sup>

هذه التناصبات الشعرية الموحية بمد الإلمام الثقافي للروائي إذ إن معظم الروائيين بانفتاحهم على ثقافة الآخر يتوسلون الأعمال الإبداعية الأدبية الأوروبية من فرنسية وإيطالية وإسبانية غير أن يد الروائي في نص إيزابيل امتدت إلى ثقافات أخرى مختلفة كأن فكره يحمل سياسة توسعية يحاول ضم كل بلاد وقطر بثقافته إلى مملكته وملكيته المعرفية.

### 2- استحضار أسماء ونتائج ثقافية عالمية في رواية إيزابيل :

غدت الرواية العربية والجزائرية على وجه الخصوص نصا يمكن تعبئته بمختلف العناصر الفكرية والأدبية ناهيك عما تستقطبه من عناصر تراثية فنجد الروائي في نص إيزابيل قد عمل على استقطاب جملة من الأسماء الأدبية والفكرية والفنية فعجّ نصه بالكتاب والروائيين والشعراء والرسميين ورجال الدين والفلاسفة، وقد أتى على ذكرهم في فقرات من سرده مضمّنين داخل أقوال تتمظهر من خلالها الاهتمامات والاتجاهات الثقافية المعرفية للروائي إذ يقول : " القراءة متعة لكسر الجمود، كتب زولا، الأب الإغريقي والروماني القديم الكلاسيكيات الإيطالية والفرنسية وكتب الجيل الجديد من أمثال شارل بودلير، وإدغار آلان بو ... فقد ورث ذوقا معينا ورثته من تروفيموفسكي ومن خلاله من تولستوي وإميل جان جاك"<sup>2</sup>، ويقول أيضا : " التعليم المفتوح الذي تلقينته في عائلتي المتديّنة للغاية لم يمنع من تطوير أذواق الأدبية من خلال القراءة العاطفية لباجيسين، وكلوب ستوك وشليغل وهيردر، وايلاند، شيلر، وغوته، السيدة دي ستايل

<sup>1</sup> - سليم بركة، المصدر السابق ، ص83

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 31

ماتيسون<sup>1</sup>.. "، هذه المقاطع من الرواية تبرز مدى اهتمام واطلاع الروائي على الآداب العالمية وتبحره فيها، من خلال استرساله للسرد حين استحضاره لأسماء أدبية علمية، وحديثه عن أهمية القراءة في تطوير الأذواق الأدبية والمقصود عنده قراءة الأعمال الإبداعية العالمية، فهو يعمل على سلب لبّ القارئ لا لإبهاره ولكن لإظهار الفسحة الأدبية التي يمكن له من خلالها الولوج لعوالم فنيّة وإبداعية تطوّر ذوق المتلقي وتغيّر نظرتّه وتفتح بصيرته، وفي مقاطع مغايرة من الرواية نلفي أسماء علمية قد ازدحم نص إيزابيل بها مما زاده ثقلا أدبيا ومعرفيا رجّح كفته في ميزان الإبداع، ويقول الروائي: " وعادة ما يكون من بين هؤلاء المسافرين أدباء وفنانون مثل فرومونتون، وغيومي، مولان، السيّدة جيزر..<sup>2</sup>، وفي مقطع آخر من الرواية يقول: " أتمثّل بلزّاك، وفلوبير، وموباسان، وشاتوبرايان، ولامارتين، وميرمي، وموسيه يتوقفون جميعا في مرسيليا قبل التوجّه إلى إيطاليا أو شمال إفريقيا أو الشرق الأوسط"<sup>3</sup>، وقد أدرج الروائي في نصّه أسماء لرجال الدين ورجال عسكريين وفلاسفة وأصحاب نظريات فكرية، وقد تبدّى ذلك في قوله: " مقهى الصحراء الأسطورية وقد غصّت صباحا بروادها من أدباء وفنانين وفلاسفة كفرومونتين وأناطول فرانس وكارل ماركس، وأوسكار وايلد...<sup>4</sup>، وأتى على استحضار رجال الدين مثل لافيغري ودو فوكو وغيرهم، يعمل الروائي باستخدامه للنص أداة لتعبئة ذهن المتلقي وتهيئة عقله للانفتاح على ثقافة الآخر باستحضار أسماء شخصيات الثقافية العالمية وإحالاته على سيرها وترجماتها ونتائجها الإبداعية وسحبها من التوقع الفكري المنحصر على الثقافة والأسماء الإبداعية المحليّة والعربية.

سعى الروائيون إلى شحن نصوصهم بمختلف الأشكال الثقافية على غرار ما جلبوه من عناصر تراثية و" تعزيز رواياتهم برواد إبداعية أخرى غير التخيل، والتي ساهمت في بناء المعمار النصي وتدعيمه بخطابات جديدة مغايرة، من خلال تلك التمثلات الثقافية المحليّة والعالمية"<sup>5</sup>، وقد حذا سليم بتقة حذو هؤلاء الروائيين حيث ضمّن نصّه إيزابيل مجموعة من عناوين المؤلفات والكتب العالمية ومنها ما وضعها ونسبها لكتّاب وهي في الأصل غير موجودة إلا أنه ابتكرها لخدمة نصه وخدمة توجّهه ورؤيته، فجعلت من نصّه

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 44

<sup>2</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق، ص 47

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 48.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 28.

<sup>5</sup> - إيمان دكدوك، التراث في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية دراسة سوسيو نصية، (مملكة الزيوان، ومولى الحيرة، لبله هروب فجرة) أنموذجان أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

ل - م - د، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة وأدب العربي، محبر التوطن: الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قلمة الجزائر، 2024 - 2025م، ص 125.

السردية فهرسا لمكتبة تحمل على رفوفها أشكالا من المؤلفات من روايات ومسرحيات ودواوين شعرية ومقالات عالمية فقد استحضر كتاب "صيف في الصحراء" في قوله : " كانت تحلم أن تكتب صف في الصحراء كالذي كتبه أوجين فرومونتان"<sup>1</sup>، وفي قوله : " ثم راحت تداعب بإصبعها كتابا على مكتبه.. وعلى الحافة تقرأ.. الدولة والاسطاوية، لا تمل من قراءة صديقك هرتزن!"<sup>2</sup>، وهو كتاب للمفكر والكاتب الروسي ألكسندر إيفانوفيتش هرتزن الداعي إلى الحرية والتحرر من العبودية، ونجد كتابان آخران للكاتب الفرنسي أندريه جيد تظهر في قول الروائي : "مؤلفكم (رحلة إلى شمال إفريقيا )، قد أهدته لي أماليا نيزولي"<sup>3</sup>، وفي قوله : " فطلبت من المدير أن يمنحني شرف النزول في الغرفة التي نزل فيها بطل (اللاأخلاقي)"<sup>4</sup>، ومن المقالات التي ضمّنها الروائي نصه فأثرى بها الحمولة الثقافية والمعرفية للسرد نجد مقالا في قوله : " (ظلال إفريقية ) على صفحات مجلة الأثينية الباريسية"<sup>5</sup>، ومقال آخر تجلّى ذكره في مقطع من الرواية يقول : " كتب أوسكار وايلد مقال في إحدى الجرائد عن هذا المقهى الأسطوري بعنوان (المقهى الأسطوري الذي يسافر بك إلى الماضي)"<sup>6</sup>، ومقالا لآرثر غوبينو في قوله : " آرثر غوبينو (مقال عن عدم المساواة بين الأجناس الأدبية)"<sup>7</sup>، استوحى الروائي عنوان هذا المقال ونسبه للفرنسي آرثر غوبينو الذي اشتهر من خلال إضافته الشرعية على العنصرية واستخدامه النظرية العنصرية العلمية والديموغرافيا العرقية، تظهر هنا نباهة وذكاء الروائي في استثمار ثقافته وتوظيفها داخل نصه، ومن الروايات والمسرحيات نجد رواية : " (هلوية الجديدة) لروسو"<sup>8</sup>، و" مسرحية (غادة الكاميليا) لألكسندر دوما الابن"<sup>9</sup>، ومن الأعمال الشعرية العالمية التي استحضرها الروائي وتناص معها نصه : " (السفينة المخمورة) لرامبو"<sup>10</sup>، و " ديوان ( على قبر هرتزن) الذي حدثك عنه، للشاعر لاكلو فيتش نادسون"<sup>11</sup>، إلى جانب عناوين الكتب المستحضرة والموظفة والمشكّلة للمكتبة داخل نص الرواية فقد زيّن الروائي حائط مكتبته بلوحات فنيّة لرسامين عالميين مثل فونتان

<sup>1</sup> - سليم بركة، المصدر السابق ، ص 19.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 20.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 42.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 102.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 52.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 111.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 227.

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص 45.

<sup>9</sup> - المصدر نفسه، ص 72.

<sup>10</sup> - المصدر نفسه، ص 51.

<sup>11</sup> - المصدر نفسه، ص 63.

لاتور حيث قال : " اللوحة في منزل إيميل بلومون والتي أبدع فيها فونتان لاتور وأسمها ( زاوية الطاولة)"<sup>1</sup>، إن هذه الاستحضارات لأعمال إبداعية متنوعة والتي نضح نص رواية إيزابيل بها قد وفي من خلالها الروائي حقّ النص عليه وحق المتلقي إذ إنه أشمل في جمعها وأعملها في التوظيف.

إنّ هذه التوليفة من العناصر الأدبية العالمية التي شيّد بها الروائي سليم بتقة معظم أجزاء نصه السردي إنما سعى من خلالها لإشباع رغبات المتلقي الواعي لمختلف النصوص الإبداعية التي أعطت صبغة جمالية وفنيّة من خلال الاستحضار الشامل لشتى النتاجات الإبداعية والمعرفية وكذا الشخصيات العالمية الفاعلة في مختلف المجالات الثقافية والفكرية نصل إلى الكم الثقافي والمعرفي الذي يحمله الكاتب والروائي سليم بتقة ونستشفّ من خلال توغلنا في دراسة رواية إيزابيل مدى الانفتاح الثقافي الذي يحظى به الروائي الذي يعمل على تشييد نصوص منفتحة ثقافيا لدفع المتلقي إلى فهم ثقافة الآخر وفكّ القيد عن ذهنية التفوق التي تعود سلبا على فهمه لذاته وهويته.

---

<sup>1</sup> - سليم بتقة، المصدر السابق ، ص 52.

الخاتمة

إنّ التعاضد الحاصل بين ما هو روائي وما هو تراثي في ضوء التاريخ داخل النصوص السردية العربية الحديثة والمعاصرة والجزائرية تحديداً قد صوّر المجتمع بكلّ أبعاده وأطيافه وأوضاعه، مسترشداً في طريقه لبناء سرده بالتراث العربي، والمنتج الثقافي الغربي، وقد كان الاشتغال على نص رواية إيزابيل تجسيدا لما أوردناه، ولما كان محطّ دراية تسعى لرصد التظاهرات التراثية فيه وكشف دلالات توظيفها وحضور الصنيع الغربي الثقافي ومدى توفيق صاحب النص في استدعائه، فقد توصلنا من خلال مجهود تحليلي توصيفي لظاهرة التراث في نص إيزابيل إلى مجموعة من النتائج التي توجت بحثنا لتكون كالاتي :

- عدم قرار المفكرين والأدباء على مفهوم شامل للتراث لا يعن بالضرورة عدم استيعابهم لكنه الذي يفهم من تظاهراته ومكامن استحضاره.
- علاقة الرواية بالتاريخ تكاملية قائمة على المصلحة السردية وحاجة كل منهما إلى الآخر فالرواية تأخذ من التاريخ مادته فتسري في السرد الروائي سريان المصل في الدم لتعطيه الرواية مجالا يعبر فيه عما كان قد حدث ولم يُؤرّخ له فتعيده بكل أبعاده في صورة جديدة.
- توسّلت الرواية المادة التراثية فوظفته في سرودها لتجعل منها صبغة تلوّن نصوصها فتلفت انتباه المتلقي المتعطش للتراث والعودة إلى الأصل ومنه العودة إلى الهوية الحقيقية.
- عملت الرواية التاريخية المستقطبة للتراث على الحفاظ على الموروث الثقافي بكل أنواعه وهدفها المحافظة على الهوية والشخصية العربية.
- استلهم الروائيون التراث واشتغلوا عليه خدمة لنصوصهم بوعي عميق وذهنية متفتحة.
- امتصاص الرواية للتراث ومعالجة مادته أخذ بسرودها إلى التأسيس والإثبات التاريخي فتبلورت على الهوية دفاعا عنها.
- جعل التناس من رواية إيزابيل نصا فسيفسائيا حاملا لكلّ معاني التراث ومفعما بثقافة الآخر.
- حضور ظاهرة التناس في رواية إيزابيل أكسبها فنيّة كشفت مختلف القضايا التي سعت إلى معالجتها.
- لم يغفل الروائي سليم بتقة على غرار الروائيين الجزائريين عن أهمية التراث واقتضاء استدعائه لتأصيل نصوصهم وتقويتها وتعزيز دلالاتها.

- مالت الأفلام الروائية الجزائرية إلى المتح من الثقافة الأجنبية كما ألفينا في رواية إيزابيل قصد حث المتلقي على الانفتاح على الآخر ومعرفته، فالتعرف على الآخر بإيجابياته وسلبياته يعزز التعرف على الذات وبالتالي الحفاظ على الهوية.
- حوى نص رواية إيزابيل معظم أنواع التراث وهذا ما ينم عن القوة الثقافية والكم المعرفي للروائي سليم بركة.
- نجد أنّ الروائي في نص إيزابيل قد وظّف شتى مظاهر التراث بفتية وجمالية ذات أبعاد ودلالات قويّة وفاعلة في السرد وذلك راجع لتمكّنه من الكتابة الروائية والإحاطة بتقنياتها وراجع كذلك إلى أنّه ابن البيئة الجزائرية التي متح منها المظاهر التراثية التي عمد إلى توظيفها.

ملحق

سليم بثقة : كاتب وروائي جزائري من مواليد 10 مارس 1963 بيسكرة، أتم دراساته العليا بكل من جامعة محمد خيضر بسكرة فتحصل على شهادة الماجستير في الأدب بالجزائري بها سنة 2006، كما حاز على شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي التخصص أدب جزائري بجامعة لخضر باتنة سنة 2010.

يملك سليم بثقة خبرة مهنية في التدريس والتي انطلقت من جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل كأستاذ متريّص بقسم اللغة و الأدب العربي كلية الحقوق سنة 2007، ثمّ أستاذ مساعد - ب- بنفس الجامعة سنة 2008، بعدها ارتقى إلى صنف أستاذ مساعد -أ- بقسم الآداب و اللغة العربية بجامعة محمد خيضر بسكرة سنة 2009 ، فأستاذ محاضر - ب- سنة 2010، بعدها أستاذ محاضر - أ- سنة 2010 بنفس الجامعة.

شارك سليم بثقة في العديد من التظاهرات العلمية الجامعية ، نجد منها:

- عضو اللجنة العلمية للملتقى الدولي السمياء والنص الأدبي، الطبعة السابعة ، 29-30-31 أبريل 2011، جامعة محمد خيضر بسكرة.
- عضو اللجنة العلمية للملتقى الوطني النص في الدراسات اللسانية والنقدية المعاصرة، أيام 29 30 31 أكتوبر 2014 جامعة محمد خيضر بسكرة.
- المشاركة في صياغة وتصحيح أسئلة مسابقة دكتوراه (الطور الثالث ل م د ) أدب قديم، جامعة بسكرة العام الجامعي 2013-2014م.
- المشاركة في صياغة وتصحيح أسئلة مسابقة دكتوراه (الطور الثالث ل م د) أدب معاصر ، جامعة بسكرة العام الجامعي 2016-2017 م .

لسليم بثقة مجموعة من المؤلفات بعضها عبارة عن مقالات تذكر من بينها:

- كاريزما الشخصية الريفية في الرواية الجزائرية، المحلة جذور، العدد 44، إصدار نادي جدة الأدبي، المملكة العربية السعودية 2016.
- الثورة الجزائرية في كتابات المثقفين الفرنسيين - سارتر أنموذجا ، مجلة المخبر، إصدار مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، العدد الحادي عشر، 2015 ، جامعة محمد خيضر بسكرة.

أما البعض الآخر فتمثل في العديد من الكتب، تذكر منها:

- الريف في الرواية الجزائرية، دار النشر والتوزيع دار السبيل، الجزائر 2010م.
- أوراق بحثية في النقد والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو 2014.

## - تلخيص رواية إيزابيل :

رواية إيزابيل واحدة من أعمال الروائي سليم بنقمة، تتبع الرواية قضية فتاة شابة تدعى إيزابيل وفدت إلى الجزائر في القرن الماضي قادمة من أوروبا رفقة والدتها، فتدخل بذلك في مرحلة انتقالية شكلت منطلقا جديدا في حياتها، فبعد عيشها في منطقة بونة على الساحل الجزائري الشرقي ثم زيارتها إلى مناطق من الجنوب وجدت عالما سحريا في صحرائه تعلقت بها وجعلت منها بيئتها الجديدة التي تحيا فيها فقد اعتنقت الإسلام وانضمت إلى الطريقة القادرية إحدى الطرق الصوفية في الجزائر، وتنازلت عن اسمها القديم لتستبدله باسم جديد هو السي محمود الموسكوفي ليكون فيم بعد محمود السعدي، الذي جابت به ربوع الصحراء مرتدية لباسا رجاليا عربيا رفقة زوجها سليمان هني، متنقلة من الجنوب الشرقي إلى الجنوب الغربي عبر خط عرض كثيرة وسط أحداث مثيرة جعلت من السرد الروائي سردا يعج بالحيوية والحركة، انطلقت رحلة إيزابيل بإيعاز من زوجة قسيس قتل في الصحراء الجزائرية فقدمت للتحقيق في مقتله ، لتأخذ القصة منعرجا آخر أحالها إلى حياة البداوة والانخراط في المجتمع الصحراوي المفعم بالأصالة والعراقة والتراثية.

بدأت رواية رحلة سي محمود انطلاقا من آخرها ثم الوصول إليه في سرد دوراني حلقي، حيث انطلق من موتها والعثور على جثتها تحت الأنقاض بعد فيضانات قوية اجتاحت الحي الذي كانت تعيش فيه مع زوجها في مدينة عين الصفراء في الجنوب الغربي من الجزائر ، لتدخل الرواية في سرد الأحداث بداية من فندق الصحراء في مدينة بسكرة حيث تلتقي إيزابيل بجملة من الكتاب والروائيين والأدباء ورجال الدين والعسكريين وكلهم شخصيات بارزة ذات مقامات رفيعة ومن مختلف الجنسيات العالمية، اعتمد الروائي في سرده لرواية إيزابيل على تنقلاتها بين اماكن منتقاة ومؤثثة بطريقة تعطي للمتلقي الجو المثالي بدلالاته وكذا من خلال الشخصيات المتفاعلة في فضاء تلك الأمكنة بأفعالها وحواراتها عبر فترات زمنية محددة لتتعلق كل هذه المكونات مشكلة سردا مثاليا متح من التاريخ مادته بالاعتماد على مختلف الآليات التناسلية لينبثق عنها نص رواية إيزابيل الذي تعلق موضوعاته بالهجرة والانتقال والاستعمار والحرية والأنا العربي الجزائري والآخر الأجنبي لتعطي صورة تراثية ممزوجة بثقافة الآخر مؤكدة على الموضوع الهدف الذي وهو المحافظة على الهوية.

قائمة المصادر

والمراجع

❖ القرآن الكريم — برواية حفص عن عاصم.

❖ الحديث النبوي الشريف.

قائمة المصادر و المراجع :

1- الكتب :

إبراهيم السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، دار الرشيد-بغداد، د.ط، 1980م.

ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : مُجَّد محي الدين عبد الحميد، المطبعة العصرية، بيروت - لبنان، د.ط، 1990م.

ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق : مُجَّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط5، 1981م.

ابن فارس مقاييس، اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ج5، ص 404.  
أبي عبد الله الزوزني، شرح المعلقات السبع، تح : طلال أحمد، دار الكتاب الحديث، ط1، 2002م - 1423هـ.

أحمد طالب الإبراهيمي، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار الغرب، وهران - الجزائر، ط1، 2005م.

أحمد عثمان، الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط2، د.ط، د.ت.

أحمد يحيى، علاء عبد المنعم، أحمد عبد العظيم، سلطة التراث وبلاغة المتخيل، توظيف التراث في السرد الروائي المعاصر(الأسطورة والسخرية في رواية لحس العتب لخيري شلبي)، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط1، 2011م.

الإمام مسلم، صحيح مسلم باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، تحقيق مُجَّد مصطفى الأعظمي مكتبة الكوثر - المربع - السعودية الطبعة: الثالثة، 1410 هـ، الجزء 4.

بول ريكور، الزمان والسرد- الحكمة والسرد التاريخي، ترجمة: سعيد الغانمي/ فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان ط1، 2006م، نقلا عن بن صفية عبد الله، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة.

ترفتان تودوروف وآخرون، الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المدني، عيون المقالات، المغرب، ط2، 1999م.

جمال مباركين، التناس وجماليته بالشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثقافي، الجزائر، د.ت، د.ط.

جميل حمداوي، مواقف من التراث العربي الاسلامي (مُجَّد عبد الجابري وطه عبد الرحمن) أمودجان كتاب الإصلاح 2015/07/04م، قلا عن مُجَّد عابد الجابري، (التراث ومشكل المنهج)، المنهجية في الأدب والعلوم الإسلامية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1986م.

حسن مُجَّد حمادة، تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط، 1977م.

حسين حنفي : التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للنشر، (ط4)، بيروت، لبنان، 1992م.

حسين مروة، دراسات في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.

حلمي بدير : أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر، ط1، 2003م.

الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت، ج 01.

دفيد وورد، الزمان الوجود السرد (فلسفة بول ريكور) تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1999م.

رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، د.ط، د.ت.

زايد علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط. 1998م.

سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، رواية الشارع والعاصفة، لحنا مينة أمودجا، دار مجدة لاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2003م، نقلا عن أحمد يحيى، علاء عبد المنعم، أحمد عبد العظيم، سلطة التراث وبلاغة المتخيل.

- سعيد سلام، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أمودجا، عالم الكتب الحديث الأردن، د.ط، 2010م، نقلا عن خديجة نواري، التراث في روايات عبد المالك مرتاض.
- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث) المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1، أوت 1992م.
- سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتحليلات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة النصر، ط1، 2006م.
- سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء\_ المغرب، ط1. 1997م.
- سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1997م.
- سليم بتقة، رواية إيزابيل، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، ط1، 1446هـ - 2024م.
- سيار الجميل، الفن الروائي التاريخي العربي، مجلة البيان، العدد:2، مج:2، 1999م.
- سيد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار المعارف-مصر، ط1، 1980م.
- شعيب الأرناؤوط، كتاب مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، جز:33.
- شوقي جلال، التراث والتاريخ، مؤسسة هنداوي للنشر 2015م.
- صالح مفقودة، المرأة الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة الجزائر، ط1، 2003م.
- الطاهر بلحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبين، الجاحظية سلسلة الإبداع الأدبي - الجزائر، د.ط، 2000م.
- عبد الحميد همة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل، قراءة في الشعر العربي المعاصر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط، 2008م.
- عبد الرحمان ياغي، في الجهود الروائية ما بين سليم البستاني ونجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.

عبد القادر الفاسي الفهري، مناقشة في الأدب والعلوم الانساني، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1  
1986م.

عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ط4 ن1998م.

عبد الله بن صفية، مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، دار الباحث، الجزائر، ط1، 2020م.

عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط2، 1984م.

عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1، 1986م.

عدنان علي مُجَّد الشريم، الخطاب السردى في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1،  
2015م.

عنتر، الديوان، تحقيق ودراسة، مُجَّد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق - سوريا، ط2، 1983م.

لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون-لبنان، ط1، 2002م.

ليندا هتشيون: رواية الرواية التاريخية - تمثيلية الماضي - تر:شكري مجاهد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،  
د.ط، 1993م.

مُجَّد البشير الإبراهيمي، كتاب الآثار، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1997م، الجزء : 05.

مُجَّد بن عبد الكريم حوار، الطاهر وطار، أنا من بقايا رومنسية جبران، مجلة بيان الثقافة، العدد 81، جويلية  
2001م.

مُجَّد بوزواوي : معجم مصطلحات الأدب ط1، دار الوطني للكتاب، الجزائر، 2009م.

مُجَّد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة (دراسة) منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق،  
ط1، 2002م.

مُجَّد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت لبنان، ط2،  
1999م.

مُحَمَّد عبد الله بن عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط4، 1997م.

مُحَمَّد غنيمي هلال : الأدب المقارن، دار العودة - بيروت، د.ط : 1980م.

مُحَمَّد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، (التناص في الشكل والمضمون)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط3، يوليو 1992م.

مُحَمَّد مندور، في الميزان الجديد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت.

محمود أمين العالم : مواقف نقدية من التراث، دار الفارابي، (دط)، بيروت، لبنان، 2004م.

محمود أمين العالم، البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة، دار المستقبل العربي - مصر، د.ط، 1994م.

المرزوقي مُحَمَّد : الأدب العربي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت.

مريم فريجات، التجليات الملحمية في رواية الأجيال العربية، وزارة الثقافة-الأردن، ط 1، 2005م.

مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، مج : 4، د.ط، د.ت.

نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، الألفية للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.

وظفء حمادي، هاشم التراث وأثره وتوظيفه في مسرح توفيق الحكيم المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 1998م.

## 2- الجرائد والمجلات :

عبد الفتاح الحجمري، هل لدينا رواية تاريخية، مجلة فصول، القاهرة - مصر، مج 16، العدد : 03، 1997م.

عبد المالك مرتاض، فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص، مجلة علامات، العدد: 1، ماي 1991م.

محمود أمين العالم، الرواية بين زمنيها وزمانها، مجلة فصول، القاهرة - مصر، مج 12، العدد : 01، 1993م.

مخلف عامر، حضور التراث في الرواية الجزائرية، مجلة السرديات، العدد 01، قسنطينة - الجزائر، 2004م.  
نواف أبو ساري، الرواية التاريخية، جنس أدبي جديد في الأدب العربي الحديث، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها جامعة منتوري، قسنطينة الجزائر، العدد 23، جوان 2005م.  
وسيلة عيسات، مفهوم القطيعة بين التراث والحداثة في فكر محمد أركون، مجله دراسات الإنسانية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، عدد (2) 2016م.

### 3-المذكرات والرسائل الجامعية :

#### 1- الماجستير :

عبد الحليم بوشراكي: التراث الشعبي والمسرح في الجزائر (مسرحية الأجواد لعلولة - أنموذجا)، مذكرة متممة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص أدب حديث، جامعة باتنة، 1432/1433هـ.

#### 2- الدكتوراه :

حبيب بوهروور : الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتورا العلوم في الأدب العربي الحديث، إشراف : الربيعي بن سلامة، جامعة قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، قسنطينة، الجزائر، 2007م.

خديجة نواري، توظيف التراث في روايات عبد المالك مرتاض(قراءة في ثلاثية الجزائر وثنائية الجحيم)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أدرار، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2016-2017م.

نجوى منصور، الموروث السردى في الرواية الجزائرية (روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج أنموذجا)، مقاربة تحليلية تأويلية، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة - الجزائر، 2012م.

إيمان دكدوك، التراث في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية دراسة سوسيو نصية، (مملكة الزيون، ومولى الحيرة، ليلة هروب فجرة) أنموذجان أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ل - م - د، كلية الآداب واللغات، قسم

اللغة وأدب العربي، مخبر التوطين: الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة الجزائر، 2024  
- 2025م.

4- بحوث ومقالات :

زهيرة بارش، مقال الوعي بالتراث السردى فى الخطاب النقدى عند سعيد يقطين، مقارنة تحليلية فى كتاب "الرواية والتراث السردى " جامعة سطيف2، كلية الآداب واللغات، الجزائر.

عبد الإله نبهان، التراث العربى مفهوم ومواقف مفكرين، بحث مقدم إلى المؤتمر الثامن لمجمع اللغة العربية بدمشق نقلا عن محمود عمارة، التراث فى ضوء العقل، دار الوحدة، بيروت، لبنان، 1980م.

نضال الشمالى، الرواية والتاريخ (بحث فى مستويات الخطاب فى الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2006م.

نبيل فازو، عبد الله العروى، المشروع الفكرى ووحدة المتن (ملاحظات على هامش حوار العروى مع مجلة النهضة)، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2015، ص 20. نقلا عن A.Laroui, Islamisme, Modernisme, Libéralisme, op, cit, p.50.

بالمواقع :

- شوقى جلال، الفكر العربى وسوسيولوجيا الفشل، [www.kotobarabia.com](http://www.kotobarabia.com)، تاريخ الإنزال : 2025/04/20م.

- محمد إدريس، مقال: قراءة فى مشروع نصر حامد أبو زيد الفكرى (1943 - 2010م)، 20 أبريل 2015م، موقع مؤمنون بلا حدود - [mominoun.com/articles](http://mominoun.com/articles) تاريخ الإنزال : 21 ماي 2025م، 20:00 سا .

# الفهرس

## فهرس المحتويات :

العنوان	الصفحة
إهداء	
شكر	
مقدمة	أ-ب-ج-د
مدخل: التراث بين الرؤية والموقف.	18-06
الفصل الأول: التراث وتمثلاته في الرواية التاريخية.	45-20
المبحث الأول: الرواية التاريخية في الأدب العربي بين الظهور والنشأة.	28-20
1- ظهور الرواية التاريخية في ساحة الأدب العربي.	22-20
2- مفهوم الرواية التاريخية.	23-22
3- دوافع تبني التاريخي في الرواية العربية.	26-24
4- علاقة الرواية بالتاريخ.	28-26
المبحث الثاني: علاقة الرواية التاريخية بالتراث وطرق استحضارها.	45-29
1- الرواية التاريخية العربية والوعي بالتراث.	30-29
2- حضور التراث في الكتابة الروائية العربية.	32-31
3- استدعاء السرود التراثية في النصوص الروائية الحديثة والمعاصرة.	34-32
4- أنواع وخصائص التراث الموظفة في الرواية العربية.	38-34
5- التراث في الرواية الجزائرية.	41-38
6- الناص وتقنيات الاستحضار.	45-41
الفصل الثاني: التراث في رواية إيزابيل والانفتاح على ثقافة الآخر.	77-47
المبحث الأول: التجليات التراثية في رواية إيزابيل.	70-47
1- التراث التاريخي في رواية إيزابيل.	51-47
2- الصبغة التراثية الشعبية وتلويناتها لرواية إيزابيل.	60-51
3- توظيف الموروث الديني في رواية إيزابيل.	65-60
4- توظيف التراث الأدبي عند سليم بركة في رواية إيزابيل.	68-65
5- النزوع الأسطوري في رواية إيزابيل.	70-68

77-71	المبحث الثاني: الانفتاح على التراث الأدبي الأجنبي في نصّ إيزابيل.
74-71	1- التناص والانفتاح على ثقافة الآخر.
77-74	2- استحضار أسماء ونتاجات ثقافية عالمية في رواية إيزابيل.
80-79	خاتمة
83-82	ملحق.
91-85	قائمة المصادر والمراجع.
94-93	فهرس المحتويات.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

## الملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى رصد التجليات التراثية المستخلصة من مصادر التاريخ ودلالاتها حين استدعائها في السرود الروائية العربية والجزائرية الحديثة والمعاصرة والكشف عن مدى نجاعة آلية التناس في استحضار التراث داخل نصوصها وانفتاحها على ثقافة الآخر لتجمع بين ثناياها جملة من الميزات الفنية والجمالية والمعاني الفكرية فكان نص رواية إيزابيل أنموذجا أمثل يقتضي الدرس باعتباره نصا حاويا لمعظم المعطيات والملاحم الخاصة بالظاهرة المراد تفصيلها في موضوعنا والممكنة من بلوغ أهدافه.

الكلمات المفتاحية: التاريخ، التراث، رواية إيزابيل، التناس.

## **Abstract:**

This study aims to monitor the heritage manifestations drawn from historical sources and their connotations when invoked in modern and contemporary Arab and Algerian narratives. It also aims to reveal the effectiveness of the intertextuality mechanism in evoking heritage within these texts and their openness to other cultures, bringing together within them a range of artistic and aesthetic features and intellectual meanings. The text of the novel "Isabel" is an ideal model that warrants study, as it contains most of the data and features specific to the phenomenon to be investigated in our topic, enabling us to achieve its objectives.

**Keyzords:** historic , the heritage ,the novel "Isabel" , intertextuality.